یہ کتاب
شیخ محمد حسین بٹالوی
اور دوسری علماء مکفرین
کے الزام اور افحام اور انکی
مولویت کی حقیقت کھولنے
کیلئے بوعدہ انعام
ستائیس روپیہ شایع ہوئی ہے
ستائیس دن بالمقابل رسالہ
بنانے کیلئے مہلت دیگئی ہے
اور یہ ستائیس دن روز اشاعت
سے محسوب ہونگے۔

دنیا میں ایک نذیر آیا پر دنیا نے اسکو قبول نہ کیا لیکن خدا اسے قبول کریگا اور بڑے زور آور حملوں سے اسکی سچائی ظاہر کر دیگا

هذا كتاب يحكم
بين الشيعة واهل السنة و
يهدى الى الحق فى امر الخلافة وانه يقطع
معاذير المخالفين ويبزد قارير المفترين
ولا يستنكره الا من لبس الصفاقة وخلع الصدق
والصداقة واتبع الكاذبين

كتاب عزيز محكم يفحم العدا
فنحمد بارئنا على ما اسعدا
وسمّيته سر الخلافة حجة
بما جاء فى تلك المقاصد رشدا

هذا كتاب سر الخلافة لمن يبغى سبل الثقافة

وقد طبع في المطبع رياض الهند امرتسر فى الشهر المبارك محرم سنة ۱۳۱۲ھ

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

فهرس

معيار لهداية العيّابين ومعرفة الخطأ*

"إن معظم العيّابين المستعجلين، وبالأخص الشيخ محمد حسين البطالوي، الذين لا يتصفحون كُتبنا العربية إلا بحثًا عن الأخطاء فيها، يعُدّون - بسبب ظلمة التعصب فيهم - سهوَ الناسخ أيضًا ضمن قائمة الأغلاط. ولكن الحق أنه لا يمكن أن يُعزى إلينا من تلك الأغلاط الصرفية والنحوية إلا ما لم يرِد صحيحُه في موضع آخر من كتبنا. أما إذا ورد في مكان ما لفظ أو تعبير خطأً على طريق الصدفة بينما يكون قد ورد بصورته الصحيحة في عشرات الأماكن الأخرى.. فلا مناص لهم إلا أن يعزوا ذلك الخطأ إلى سهو الناسخ بدلاً من أن يعتبروه غلطًا منا، إن كان فيهم شيء من الإيمان والإنصاف. ولو أنهم أخذوا بعين الاعتبار العجلةَ التي ألّفنا بها هذه الكتب لاعترفوا باقترافهم ظلمًا عظيمًا، ولعدّوها تأليفاتٍ خارقةً للعادة.

والحق أن القرآن الكريم وحده منــزهٌ عن السهو والخطأ، وأما البشر فلم يسلم كلام أحد منهم من هذا العيب. فإن السيد البطالوي نفسه يعترف بأن الناس استخرجوا أغلاطًا حتى من شعر امرئ القيس وكلام الحريري. فهل يمكن لمن عثر صدفةً على خطأٍ للحريري أو امرئ

* *هذه ترجمة النص الوارد باللغة الأردية في الصفحة التالية من صفحة الغلاف. (الناشر)*

القيس أن يُعَدّ بمكانتهما؟ كلا. والواقع أن الإتيان بالدقائق والمعارف صعب، أما الطعن والقدح فيمكن أن يقوم به شخص ذو كفاءة عادية بل يتسنى ذلك لشخص غبي محض أيضا.

المدة القصوى المحددة من قبلنا لتأليف كتاب بإزاء كتابينا "حمامة البشرى" و"نور الحق" كانت إلى نهاية يونيو ١٨٩٤م، فانقضت تلك المدة دون أن يبعث أحد من المشايخ طلبه للحصول على الجائزة منا على أساس تأليف كتاب إزاء كتابي، والآن فقد فات الأوان. لا شك أنهم سعوا للطعن والقدح شأن الأغبياء والحساد، حتى إن بعض السذج منهم قد أتوا ببضعة الأخطاء التي حصلت من سهو الناسخ أو بتغافل مني عن طريق الصدفة، طالبين الجائزة مني. غير أنهم ما فتحوا أعينهم قط ليروا أن وعد الجائزة على كل خطأ كان مشروطا بأن يكتب مثل هذا الشخص أوّلاً كتابا بإزاء كتابي؛ وإلا فإن الطاعنين الحاسدين الذين ليس في جعبتهم شيء من الثروة العلمية، يبلغ عددهم في الدنيا الآلاف بل مئات الآلاف، فهل هذا يعني أن نقدم الجائزة لجميع هؤلاء؟ كلا، بل يجب أن يكتبوا أوّلاً كتابا بإزاء كتابنا هذا "سر الخلافة" مثلاً، ثم إذا كان كتابهم مبرأً من الأخطاء وكان يضاهي كتابنا في البلاغة والفصاحة، فيمكنهم أن ينالوا منا على كل خطأ يعثرون عليه روبيتين بالإضافة إلى الجائزة التي وعدنا بها على تأليف كتاب مماثل لكتابنا. وإلا فإن الطعن بدون ذلك بعيد عن الحياء. والسلام على من اتبع الهدى.

العبد المتواضع

غلام أحمد

سِرُّ الخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا مُعطيَ الإيمان والعقل والفكر، نحضُر عتبتك بطيّبات الحمد والشكر، ونُنادي حضرتك بتحيات التمجيد والتقديس والذكر، ونطلب وجهك بقصوى الطلب، ونسعى إليك في الطرب والكرب. نحفد إليك ولا نشكو الأين، ونؤمن بك ولا نأخذ في كيف وأين. وجئناك منقطعين من الأسباب، ومستبطنين أحزانا للقاعدين على السراب، والغافلين عن الماء المَعين وطرق الصواب، والمستكبرين، الذين يبلعون الريق، ويرفضون الكأس والإبريق، ويُعادون الصادقين. يتركون الحقائق لأوهام، وما كانت ظنونهم إلا كمُخْلِفة أو جَهام، ولا يجيئون أهل المعارف إلا متكاسلين، ولا ينظرون الحق إلا لاعبين. وهجمَتْهم أوهامهم كالبلاء المفاجي في الليل الداجي، فصار العقل كالظلف الواجي، فسقطوا على أنفسهم مُكبّين. والتحصهم تعصّبُهم إلى الإنكار، وأسفوا على الواعظين، وولّوا الدبر كالفرار. وامتلأوا حشنة وحقدًا، ونقضوا عهدًا وعقدًا، وطفقوا يسبّون الناصحين. وما كان فيهم إلا مادّةُ غباوة، رُكِّبَ بإثاوة، فأداروا رحى الفتن من عداوة، وسفَا تُرْبَهم ريحُ شقاوة، فبعدوا عن حق وحلاوة، وجلَوا عن أوطان الصدق تائهين. كثرت الفتن من حؤول طبائعهم، وخُدع

الناس من اختداعهم. ربِّ فارحم أُمّة محمد وأصلِحْ حالهم، وطهِّرْ بالهم وأَزِلْ بَلبالهم، وصلّ وسلّم وبارِك على نبيّك وحبيبك محمد خاتم النبيين، وخير المرسلين، وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه **عمائد الملّة** والدين، وعلى جميع عبادك الصالحين. **آمين.**

أما بعد.. فاعلم أيها الأخ الفطن، أن هذه الأيام أيامٌ تتولد فيه الفتن كتولُّد الدود في الجيفة المنتنة، وتضطرم فيه الأهواء كاضطرام النيران من الخُشُب اليابسة. وأرى الإسلام في خطرات من إعصار هذا الزمان، وصراصر هذا الأوان. قد انقلب الزمن واشتدت الفتن، وازورّت مُقْلتا الكاذبين مغضبين على الصادقين، واحمرّت وجنتا الطالحين على الصالحين. وما كان تعبُّسهم إلا لعداوة الحق وأهله، فإن أهل الحق يفضح الخؤونَ ويُنجي الخلق مِن وَحْله، ولا يصبر على كلمات الظالم وجورِه، بل يرد عليه من فوره، ويصول على كل مريب لتكشيفِ مَعيبٍ، وهتكِ سترِ المدلّسين. وكذلك كنتُ ممن أسلمَتْهم محبّةُ الحق إلى طعن المعادين، وانجرَّ أمرهم من حماية الصدق إلى تكفير المكفرين.

وتفصيل ذلك أن الله إذا أمرني وبشّرني بكوني مجدّدَ هذه المائة، والمسيحَ الموعود لهذه الأُمة، وأخبرتُ المسلمين عن هذه الواقعة، فغضبوا غضبا شديدا كالجهَلة، وساءوا ظنًا من العجلة، وقالوا كذّاب ومن المفترين. وكلما جئتُهم بثمار من طيبات الكَلِم، أعرضوا إعراض البَشِم، حتى غلظوا لي في الكلام، ولسعوني بحُمَة الملام. ونصحت لهم وبلّغت حق التبليغ مرارا، وأعلنتُ لهم

وأسررت لهم إسرارًا، فلم تزل سحبُ نصاحتي تبدو كالجَهام، ونخبُ مواعظي تزيد شقوة اللئام، حتى زادوا اعتداءً وجفاءً، وطبع الله على قلوبهم فاشتدوا دناءةً وداءً، وكانوا على أقوالهم مصرّين. ولعنوني وكذّبوني وكفّروني وافتروا من عند أنفسهم أشياء، ففعل الله ما شاء، وأرَى المكذّبين أنهم كانوا كاذبين. وطردني كل رجل وَحْداني، إلا الذي دعاني وهداني، فحفظني بلمحاتِ ناظرِه، وربّاني بعنايات خاطره، وجعلني من المحفوظين.

وبينما أنا أفرّ من سهام أهل السُنّة، وأسمع منهم أنواع الطعن واللعنة، إذ وصلني بعض المكاتيب من بعض أعزة **الشيعة** وعلماء تلك الفرقة، وسألوني عن **أمر الخلافة**، وأمارات خاتم الأئمّة، وكانوا من طلباء الحق والاهتداء، بل بعضهم يظنون بي ظن الأحبّاء، ويتخذونني من النصحاء، ويذكرونني بخلوص أصفى وقلب أزكى، فكتبوا المكاتيب بشوقٍ أَبْهَى وحِرّةٍ عُظمَى، وقالوا حَيَّهَلْ بكتاب أشفى، يشفينا ويروينا ويهب لنا برهانا أقوى. ثم أرسلوا إليّ خطوطا تترى، حتى وجدتُ فيها ريح كبدٍ حَرَّى، فتذكرتُ قصّتي الأولى، وانثنيتُ أقدِّم رِجلا وأؤخّر أخرى، حتى قوّاني ربي الأغنى، وألقى في روعي ما ألقى، فنهضتُ لشهادة الحق الأجلى، ولا أخاف إلا الله الأعلى، والله كاف لعباده المتوكلين.

واعلم أن أهل السُنة عادَوني في شَرْخ شأني، والشيعة كلّموني في إقبال زماني، وإني سمعتُ من الأولين كلمات كبيرة، وسأسمع من الآخرين أكبر منها، وسأصبر إن شاء الله حتى يأتيني نصر ربي، هو

معي حيثما كنتُ؛ يراني ويرحمني، وهو أرحم الراحمين. ورأيت أكثر أحزاب الشيعة لا يخافون عند تطاوُل الألسنة ولا يتّقون ديّان الآخرة، ولا يجمعون نشوب الحقيقة، ولا يذوقون لبوب الطريقة، ولا يفكرون كالصلحاء، ولا يتخيرون طرق الاهتداء، فرأيتُ تفهيمهم على نفسي حقًّا واجبًا ودَينًا لازمًا، لا يسقط بدون الأداء. فكتبتُ هذه الرسالة العُجالة، لعل الله يصلح شأنهم ويُبدل الحالة، ولأبيّن لهم ما اختلفوا فيه، وأخبرهم عن **سرّ الخلافة**، وإن كان تأليفي هذا كولد الإصافة، وما ألّفتُها إلا ترحّمًا على الغافلين والغافلات، **وإنما الأعمال بالنيات**. وأتيقن أن هذه الرسالة تُحفِظ كثيرا من ذوي الحرارة، فإن الحق لا تخلو من المرارة، وسأسمع من علماء الشيعة أنواع اللعنة، كما سمعتُ من أهل السُنة.

فيا ربّ.. لا توكُّل إلا عليك، ولا نشكو إلا إليك، ولا ملجأ إلا ذاتك، ولا بضاعة إلا آياتك، فإن كنتَ أرسلتني بأمرك لإصلاح زُمرك، فأدرِكْني بنصرك، وأيِّدْني كما تُؤيّد الصادقين. وإن كنتَ تحبّني وتختارني فلا تُخزِني كالملعونين المخذولين. وإن تركتني فمن الحافظ بعدك وأنت خير الحافظين؟ فادرأْ عني الضرّاء، ولا تُشمت بي الأعداء، **وانصرني على قوم كافرين**.

أما الرسالة فهي مشتملة على تمهيد وبابَين، وفيها هدايات لذوي العينين ولقوم متّقين. وأسأل الله أن يضع فيها بَرَكة، ويضمّخها بعطر التأثير رحمة، ولا علم لنا إلا ما علّمَنا وهو خير المعلّمين.

التمهيــد

أيها الأعزة.. اعلموا، رحمكم الله، أني امرؤٌ عُلّمتُ من حضرة الله القدير، ويسّرني ربي لكل دقيقة، ونجاني من اعتياص المسير، وعافاني وصافاني وأسرَى بي من بيت نفسي إلى بيته العظيم الكبير. فلما وصلتُ القِبلة الحقيقية بعد قطع البراري والبحار.. وتشرفت بطواف بيته المختار، وخصصني لطفُ ربي بتجديد المدارك وإدراك الأسرار، وكان ربي خِدْني ووَدُودي، واستودعتُه كلَّ وجودي، وأخذتُ من لدنه كلَّ علم من الدقائق والأسرار، وصُبّغتُ منه في جميع الأنظار والأفكار، صرفتُ عنان التوجه إلى كل نزاع كان بين فِرَق القوم والملة، وفتّشتُ في كل أمر من السبب والعلة، وما تركتُ موطنا من مواطن البحث والتدقيق، إلا واستخرجتُ أصله على وجه التحقيق. وعرفتُ أن الناس ما أخطأوا في فصل القضايا، وما وقعوا في الخطايا، إلا لميلهم إلى طرف مع الذهول عن طرف آخر، فإنهم كبّروا جهة واحدة بغير علم وحسبوا ما خالفها أصغر وأحقر. وكان من عادات النفس أنها إذا كانت مغمورة في حُبّ شيء من المطلوبات، فتنسى أشياء يخالفه، ولا تسمع نصاحة ذوي المواساة، بل ربما يعاديهم ويحسبهم كالأعداء، ولا يحاضر مجالسهم ولا يصغي إلى كلماتهم لشدة الغطاء. ولهذه المفاسد علل وأسباب وطرق وأبواب، وأكبر علله قساوة القلوب، والتمايل على الذنوب، وقلة

الالتفات إلى محاسبات المَعادِ، وصحبة الخادعين والكاذبين من أهل العناد، وإذا رسخوا في جهلهم فتدخُل العثرات في العادات، وتكون للنفوس كالمرادات، فنعوذ بالله من عثرات تنتقل إلى عادات وتُلحق بالهالكين. وربما كانت هذه العادات مستتبعة لتعصبات راسخة من مجادلات. والمجادلات النفسانية سمٌّ قاتِل لطالب الحق والرشاد، وقلما ينجو الواقع في هذه الوهاد. وقد تكون العلل المفسدة والموجبات المضِلّة مستترة، ومن العيون مخفية، حتى لا يراها صاحبها ويحسب نفسه من المصيبين المنصفين. وحينئذ يسعى إلى المشاجرات، ويشتد في الخصوصات*، وربما يحسب خيالا طفيفا ورأيا ضعيفا كأنه حجة قوية لا دحوض لها، فيميس كالفرحين. وسبب كل ذلك قلّةُ التدبر وعدم التبصّر، والخلوُّ عن العلوم الصادقة، وانتقاشُ صُورِ الرسوم الباطلة، والانتكاسُ على شهوات النفس بكمال الجنوح والحرمان من مذوقات الروح وعجزُ النظر عن الطموح والإخلادُ إلى الأرض والسقوط عليها كعَمِين.

وهذه هي العلل التي جعلت الناس أحزابا، فافترقوا وأكثرهم تخيّروا تبابًا، وكذّبوا الحق كِذّابًا، بل لعنوا أهله كالمعتدين، وصالوا كخريجٍ مارِق على المحسنين، ونظروا إلى أهل الحق بتشامخ الأنوف، وتغيظ القلب المؤوف، وحسبوا أنفسهم من العلماء والأدباء، وسحبوا ذيل الخيلاء، وما كانوا من المفلقين. ومنهم الذين نالهم من

---

* *لعله سهو الناسخ والصحيح: "الخصومات". (الناشر)*

الله حظٌّ من المعرفة، ورزق من الحق والحكمة، وفتَح الله عيونهم وأزال ظنونهم، فرأوا الحقائق محدقين. ومنهم قوم أخطأوا في كل قدم، وما فرّقوا بين وجود وعدم، وما كانوا مُستبصرين. أصرّوا على مركوزات خطراهم، وخطوات خطيّاهم، ولباس سيّئاهم، وكانوا قومًا مفسدين.

وإذا نزعوا عن المِراس بعد ما نزعوا لاء* البأس، ويئسوا من الجِحاس، مالوا ميلة واحدة إلى الإيذاء بالتحقير والازدراء، وبنحت البهتان والافتراء والتوهين. وكلما خضعتُ لهم بالكلام مالوا إلى الإرهاق والإيلام، وكادوا يقتلونني لو لم يعصمني ربي الحفيظ المعين. فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وزاد ذنوبهم، وتركهم في ظلمات متخبطين. فنهضتُ بأمر الله الكريم، وإذن الله الرحيم، لأزيل الأوهام وأداوي السقام، فاستشاطوا من جهلهم غضبًا، وأوغلوا في أثري زرايةً وسبًّا، وفتحوا فتاوى التكفير ودفاتر الدقارير، وصالوا عليّ بأنواع التزوير، ولدغوني بلسان نضناض، وداسوني كرضراض. وطالما نصحتُ فما سمعوا، وربما دعوتُ فما توجهوا، وإذا ناضلوا ففرّوا، وإذا أخطأوا فأصرّوا وما أقرّوا، وما كانوا خائفين. واجترءوا على خيانات فما تركوها وما ألغوها، حتى إذا الحقائق اختفت، وقضية الدين استعجمت، وشموس المعارف أفَلتْ وغرَبتْ، ومعارف الملة اغتربت وتغرّبت، والدواهي اقتربت ودنت وغلبت، وبيتُ

* يبدو أن "د" سقطت من هنا سهوا، والصحيح: "دلاء". (الناشر)

الدين والديانة خلا، والأمن والإيمان أجفلا، ورأيت أن الغاسق قد وقب، ووجه المحجّة قد انتقب، فألّفتُ كُتبًا لتأييد الدين، وأترعتُها من لطائف الأسرار والبراهين، فما انتفعوا بشيء من العظات، بل حسبوها من الكلِم المُحفِظات، وما كانوا منتهين.

ثم إذا رأوا أن الحجة وردت، والنار المضرمة بردت، وما بقي جمرةٌ من جمر الشبهات، فركنوا إلى أنواع التحقيرات، وقالوا مِن أشراط المجدّد الداعي إلى الإسلام، أن يكون من العلماء الراسخين والفضلاء الكرام، وهذا الرجل لا يعلم حرفا من العربية، ولا شيئًا من العلوم الأدبية، وإنا نراه من الجاهلين، وكانوا في قولهم هذا من الصادقين. فدعوتُ ربي أن يُعلّمني إن شاء، فاستجاب لي الدعاء، فأصبحتُ بفضله عارف اللسان، ومليح البيان، ومن الماهرين. ثم ألّفتُ كتابَين في العربية مأمورًا من الحضرة الأحدية، وقلتُ يا معشر الأعداء، إن كنتم من العلماء والأدباء، فأْتوا بمثلها يا ذوي الدعاوي والرياء إن كنتم صادقين. ففرّوا واختفوا كالذي ادّان عند صفر اليدين، وما أفاق إلا بعد إنفاق العين، فما قدر على الأداء بعد التطوق بالدَين، ولازَمه مستحقّه وجدَّ في تقاضي اللُجَين، فما كان عنده إلا مواعيد المَين؛ كذلك يخزي الله قومًا متكبرين.

والعجب أنهم مع هذا الخزي والذلّة، وهتك الأستار والنكبة، ما رجعوا إلى التوبة والانكسار، وما اختاروا طريق الأبرار والأخيار، وما صلح القلب المؤوف وما تقوضت الصفوف، وما سعوا إلى الحق نادمين، بل لوَوا عني العِذار، وأبدوا التعبس والازورار، وكانوا إلى

الشر مبادرين. ورأيتهم في سلاسل بخلهم كالأسير، وما نصحتُ لهم نصحا إلا رجعتُ يائسا من التأثير، حتى تذكرتُ قصة القردة والخنازير، واغرورقت عيناي بالدموع إذ رأيتُ ذوي الأبصار كالضرير، وإني مع ذلك لستُ من اليائسين.

وقيّض القدر لهتك أستارهم وجزاء فجّارهم أنهم عادَوا الصادقين وآذَوا المنصورين، وحسبوا الجدّ عبثًا والحق باطلاً، فكانوا من المعرضين. وإني أراهم في لددٍ وخصامٍ مُذْ أعوامٍ، وما أرى فيهم أثر التائبين. فأردتُ أن أتركهم وأُعرض عن الخطاب، وأطوي ذكرهم كطيّ السجلّ للكتاب، وأتوجه إلى الصالحين. ولو أن لي ما يوجّههم إلى الحق والصواب لفعلتُه، ولكني ما أرى تدبيرا في هذا الباب، وكلما دعوتهم فرجعوا متدهدهين، وكلما قدتهم فقهقروا مقهقهين. بيد أني أرى في هذه الأيام أن بعض العلماء من الكرام رجعوا إلي وانتثرت عقود الزهام، وزال قليل من الظلام، وتبرءوا من خُبث أقوال الأعداء، وأدهشهم الإدلاج في الليلة الليلاء، وجاءوني كالسعداء، فقلت: بَخْ بَخْ لهذا الاهتداء، وهداهم ربهم إلى عين الصواب من ملامح السراب، فوافَوني مخلصين، وشربوا من كأس اليقين، وسُقوا من ماء معين، وأرجو أن يكمل الله رشدهم ويجعلهم من العارفين. كذلك أدعو لنظّارة هذا الكتاب، أن يوفقهم الله لهم لتخيُّر طرق الصواب، ومَن بلغ أشُدَّه في نشأة روحانية، فسيقبل دعوتي بتفضلات ربانية، وقد سوّيت كلماتي لكل من يصغي إلى عظاتي، والله يعلم

مجالبها ويدري طالبها، ولا تتخطى نفس فطرتها، ولا تترك قريحة شاكلتها، ولا يهتدي إلا من كان من المهتدين.

اعلموا، رحمكم الله، أن قومًا من الذين قالوا نحن أتباع أهل البيت ومن الشيعة قد تكلموا في جماعةٍ من أكابر الصحابة وخلفاءِ رسول الله ﷺ وأئمة المِلّة، وغلَوا في قولهم وعقيدتهم، ورموهم بالكفر والزندقة، ونسبوهم إلى الخيانة والغضب والظلم والغيّ، وما انتهوا إلى هذا الزمان وما فاءَ مَنشَرُهم إلى الطيّ، وما كانوا منتهين. بل استحلَوا ذِكرَ سبِّهم، وتخيَّروه في كل خبّهم، وحسبوه من أعظم الحسنات بل من ذرائع الدرجات، ولعنوهم واستجادوا هذا العمل وشدوا عليه الأمل، وظنوا أنه من أفضل أنواع الصالحات والقربات، وأقرب الطرق لابتغاءِ مرضاة الله وأكبر وسائل النجاة للعابدين. وإني لبِثتُ فيهم بُرهةً من الزمان، ويسّر لي ربّي كل وقت الامتحان، وكنتُ أتوجس ما كانوا يُسرّون في هذا الباب، وأُصغي إلى كل طرق الاختلاب. وقيّض القدر لحسن معرفتي أن عالما منهم كان من أساتذتي، فكنت فيهم ليلا ونهارًا، وجادلتهم مرارًا، وما كان أن تتوارى عني خبيئتهم أو يخفى علي رؤيتهم، فوجدتُ أنهم قوم يُعادون أكابر الصحابة، ورضوا بغشاوة الاسترابة. ورأيت كل سعيهم في أن يفرُط إلى الشيخَين ذمٌّ، أو يلحقهما وصمٌ، فتارة كانوا يذكرون للناس **قصة القرطاس**، وتارة يشيرون إلى قضية **الفَدَك**، ويزيدون عليه أشياء من الإفك، وكذلك كانوا مجترئين على افترائهم وسادرين

في غلوائهم، وكنتُ أسمع منهم ذمّ الصحابة وذمّ القرآن وذمّ أهل الله وجميع ذوي العرفان، وذمّ أُمّهات المؤمنين. فلما عرفت عُود شجرهم وخبيئة حقيقتهم أعرضتُ عنهم وحُبِّبَ إليّ الانزواء، وفي قلبي أشياء. وكنتُ أتضرع في حضرة قاضي الحاجات، ليزيدني علما في هذه الخصومات، فعُلِّمتُ رشدًا من الكريم الحكيم، وهُديتُ إلى الحق من الله العليم، وأخذتُ عن رب الكائنات وما أخذتُ عن المحدثات، ولا يكمل رجل في مقام العلم وصحة الاعتقادات إلا بعدما يلقى العلوم من لدن خالق السماوات، ولا يَعصمُ من الخطأ إلا الفضل الكبير من حضرة الكبرياء، ولا يبلغ أحدٌ إلى حقيقة الأمور ولو أفنى العمر فيها إلى الدهور، إلا بعد هبوب نسيم العرفان من الله الرحمن، وهو المعلِّم الأعظم والحكيم الأعلم، يُدخل من يشاء في رحمته، ويجعل من يشاء من العارفين. وكذلك مَنَّ الله عليّ ورزقني من العلوم النخب، وجعل لي نورًا يتبع الشياطين كالشهب، وأخرجني من ليلة حالكة الجلباب إلى نهار ما غشّاه قطعة من الرَباب، وطرَد كلّ مانع عن الباب، فأصبحت بفضله من المحفوظين. وأُعطيتُ مِن فهمٍ يخرق العادة، ومِن نور ينير الفطرة، ومِن أسرار تعجب الطالبين. وصبّغ الله علومي بلطائف التحقيق، وصفاها كصفاء الرحيق، وكل قضية قضى بها وجداني أرانيها الله في كتابه ليزيد اطمينانى، ويتقوّى إيماني، فأحاطت عيني ظهر الآيات وبطنها وظعاينها وظعنها، وأُعطيتُ فراسة المحدّثين. وأعطاني ربي أنواع

فهم جديد لكل زكي وسعيد، ليصلح المفاسد الجديدة ويهدي الطبائع السعيدة، ومن يهدي إلا هو، وهو أرحم الراحمين. نظر الزمان ووجد أهله قد أضاعوا الإيمان، واختاروا الكذب والبهتان، مَن ائتُمن منهم خان، ومن تكلم مان، فنفخ في روعي أسرارًا عظيمة، وكلمات قديمة، وجعلني من ورثاء النبيين، وقال إنك من المأمورين لتنذر قوما ما أُنذر آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين.

الباب الأول

في الخلافة

اعلم، سقاك الله كأس الفكر العميق، أني عُلّمتُ من ربي في أمر الخلافة على وجه التحقيق، وبلغتُ عمق الحقيقة كأهل التدقيق، وأظهر عليّ ربي أن الصِدّيق والفاروق وعثمان، كانوا من أهل الصلاح والإيمان، وكانوا من الذين آثرهم الله وخُصّوا بمواهب الرحمن، وشهد على مزاياهم كثير من ذوي العرفان. تركوا الأوطان لمرضاة حضرة الكبرياء، ودخلوا وطيس كل حرب وما بالَوا حَرَّ ظهيرة الصيف وبرد ليل الشتاء، بل ماسوا في سبل الدين كفتية مترعرعين، وما مالوا إلى قريب ولا غريب، وتركوا الكل لله ربّ العالمين. وإن لهم نشرًا في أعمالهم، ونفحات في أفعالهم، وكلها ترشد إلى روضات درجاتهم وجنات حسناتهم. ونسيمهم يُخبر عن سرّهم بفوحاتها، وأنوارهم تظهر علينا بإناراتها. فاستدِلّوا بتأرُّجِ عَرفهم على تبلُّج عُرفهم، ولا تتبِعوا الظنون مستعجلين. ولا تتكئوا على بعض الأخبار، إذ فيها سمّ كثير وغلوّ كبير لا يليق بالاعتبار، وكم منها يشابه ريحًا قُلّبًا، أو برقًا خُلّبًا، فاتّقِ الله ولا تكن من متّبعيها، ولا تكن كمثل الذي يحب العاجلة ويبتغيها، ويذَرُ الآخرة

ويُلغيها. ولا تترك سبل التقوى والحلم، ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم، ولا تكن من المعتدين. واعلم أن الساعة قريب والمالك رقيب، وسيوضع لك الميزان، وكما تدين تُدان، فلا تظلم نفسك وكن من المتقين.

ولا أجادلكم اليوم بالأخبار، فإنها لها أذيال كالبحر الزخار، ولا يُخرج منها الدررَ إلا ذو الأبصار، والناس يكذّبون بعضهم بعضا عند ذكر الآثار، فلا ينتفعون منها إلا قليل من الأحرار، وإنما أقول لكم ما عُلّمتُ من ربي لعل الله يهديكم إلى الأسرار. وإني أُخبرتُ أنهم من الصالحين، ومن آذاهم فقد آذى الله وكان من المعتدين، ومن سبّهم بلسان سليط وغيظ مستشيط، وما انتهى عن اللعن والطعن وما ازدجر من الفحش والهذيان، بل عزا إليهم أنواع الظلم والغصب والعدوان، فما ظلم إلا نفسه، وما عادى إلا ربّه، وإن الصحابة من المبرَّئين. فلا تجترئوا على تلك المسالك، فإنها من أعظم المهالك، وليعتذر كل لعّان من فرطاته، وليتّق الله ويوم مؤاخذاته، وليتّق ساعة تهيِّج أسف المخطئين، وتُرِي ناصية العادين.

وأَيمُ الله إنه تعالى قد جعل الشيخَين والثالثَ الذي هو ذو النُّورَين، كأبواب للإسلام وطلائع فوج خير الأنام، فمن أنكر شأنهم وحقّر برهانهم، وما تأدّب معهم بل أهانهم، وتصدى للسب وتطاوُل اللسان، فأخاف عليه من سوء الخاتمة وسلب الإيمان. والذين آذوهم ولعنوهم ورموهم بالبهتان، فكان آخر أمرهم قساوة القلب **وغضب الرحمن**. وإني جربتُ مرارا وأظهرتها إظهارًا، أن

بغض هؤلاء السادات من أكبر القواطع عن الله مظهرِ البركات، ومن عاداهم فتُغلَق عليه سُدَدُ الرحمة والحنان، ولا تُفتح له أبواب العلم والعرفان، ويتركه الله في جذبات الدنيا وشهواتها، ويسقط في وهاد النفس وهوّاتها، ويجعله من المبعدين المحجوبين.

وإنهم أُوذوا كما أُوذي النبيون، ولُعنوا كما لُعن المرسلون، فحقّق بذلك ميراثهم للرسل، وتحقّقَ جزاؤهم كأئمة النِحل والملل في يوم الدين. فإن مؤمنا إذا لُعن وكُفر من غير ذنب، ودُعي بهجو وسبّ من غير سبب، فقد شابهَ الأنبياء وضاهى الأصفياء، فسيُجزى كما يُجزى النبيون، ويرى الجزاء كالمرسلين. ولا شك أن هؤلاء كانوا على قدم عظيم في اتباع خير الأنبياء، وكانوا أُمّةً وسطًا كما مدحهم ذو العزّ والعلاء، وأيدهم بروح منه كما أيد كل أهل الاصطفاء. وقد ظهرت أنوار صدقهم وآثار طهارتهم كأجلى الضياء، وتبين أنهم كانوا من الصادقين. **ورضي الله عنهم ورضوا عنه**، وأعطاهم ما لم يُعطَ أحد من العالمين.

أَهُم كانوا منافقين؟ حاشا وكلا، بل جلّ معروفهم وجلّى، وإنهم كانوا طاهرين. لا عيب كتطلّب مثالبهم وعثراتهم، ولا ذنب كتفتيش معائبهم وسيئاتهم، والله إنهم كانوا من المغفورين. والقرآن يحمدهم ويُثني عليهم ويبشرهم **بجنات تجري من تحتها الأنهار**، ويقول إنهم أصحاب **اليمين** والسابقون والأخيار والأبرار، ويسلّم بسلام البركات عليهم، **ويشهد** أنهم كانوا من المقبولين. ولا شك

أنهم قوم أدحضوا المودّات للإسلام، وعادَوا القوم لمحبة خير الأنام، واقتحموا الأخطار لمرضاة الرب العلام، والقرآن يشهد أنهم آثروا مولاهم وأكرموا كتابه إكرامًا، وكانوا يبيتون لربّهم سُجّدًا وقياما، فأي ثبوت قطعي على ما خالفه القرآن؟ والظن لا يُساوي اليقين أيها الظانّ. أتقوم على جهة يبطله الفرقان؟ فأَخْرِجْ لنا إن جاءك البرهان ولا تتبع ظنون الظانين.

ووالله إنهم رجال قاموا في مواطن الممات لنصرة خير الكائنات، وتركوا لله آباءهم وأبناءهم ومزّقوهم بالمرهفات، وحاربوا الأحبّاء فقطعوا الرؤوس، وأعطوا لله النفائس والنفوس، وكانوا مع ذلك باكين لقلة الأعمال ومتندمين. وما تمضمضت مُقلتهم بنوم الراحة، إلا قليل من حقوق النفس للاستراحة، وما كانوا متنعمين. فكيف تظنون أنهم كانوا يظلمون ويغصبون، ولا يعدلون ويجورون؟ وقد ثبت أنهم خرجوا من الأهواء، وسقطوا في حضرة الكبرياء، وكانوا قومًا فانين.

فكيف تسبّون أيها الأعداء؟ وما هذا الارتياء الذي يأباه الحياء؟ فاتقوا الله وارجعوا إلى رفق وحلم، ستُسألون عما تظنون بغير علم وبرهان مبين. لا تنظروا إلى ذلاقتي ومرارة مذاقتي، وانظروا إلى دليل عرضتُ عليكم وأمعِنوا فيه بعينيكم، فإنكم تبعتم ظنون الظانين، وتركتم كتابا يهب الحق واليقين، وما بعد الحق إلا ضلال مبين.

وكيف يُنسَب إلى الصحابة ما يُخالف التقوى وسُبله، ويُباين الورع وحُلله، مع أن القرآن شهد بأن الله حبَّب إليهم الإيمان،

وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وما كَفَّرَ أحدا منهم مع وقوع المقاتلة، فضلا عن المشاجرة، بل سمّى كلَّ أحد من الفريقين مسلمين، وقال:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ*﴾

فانظر إلى ما قال الله وهو أصدق الصادقين. إنك تُكفِّر المؤمنين لبعض مشاجرات، وهو يسمّي الفريقين مؤمنين مع مقاتلات ومحاربات، ويُسميهم إخوة مع بغي البعض على البعض ولا يُسمي فريقا منهم كافرين، بل يغضب على الذين يتنابزون بالألقاب،

---

* الحجرات ١٠ - ١٣

ويلمزون أنفسهم ولا يسترون كالأحباب، ويسخرون ويغتابون ويظنون ظن السوء ويمشون متجسسين. بل يُسمي مرتكب هذه الأمور فسوقا بعد الإيمان، ويغضب عليه كغضبه على أهل العدوان، ولا يرضى بعباده أن يسبّوا المؤمنين المسلمين، هذا مع أنه يُسمي في هذه الآيات فريقًا من المؤمنين باغين ظالمين، وفريقا من الآخرين مظلومين، ولكن لا يسمي أحدًا منهما مرتدين. وكفاك هذه الهداية إن كنتَ من المتقين، فلا تُدخِل نفسك تحت هذه الآيات، ولا تبادر إلى المهلكات، ولا تقعد مع المعتدين.

وقال الله في مقام آخر في مدح المؤمنين: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.✪ فانظر كلمات رب العالمين. أتُسمِّي قوما فاسقين سماهم الله متقين؟ ثم قال ﷻ في مدح صحابة خاتم النبيين: ﴿مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفّارَ﴾.○ فانظر كيف سمّى كل من عاداهم كافرًا، وغضب عليهم، فاخش الله واتق الذي يغيظ بالصحابة كافرين، وتدبَّرْ في هذه الآيات وآيات أخرى لعل الله يجعلك من المهتدين.

✪ *الفتح:٢٧* ○ *الفتح: ٣٠*

ومن تظنى من الشيعة أن الصدّيق أو الفاروق غصَب الحقوق، وظلم المرتضى أو الزهراء، فترَك الإنصاف وأحبَّ الاعتساف، وسلَك مسلك الظالمين. إن الذين تركوا أوطانهم وخلانهم وأموالهم وأثقالهم لله ورسوله، وأُوذوا من الكفار وأُخرِجوا من أيدي الأشرار، فصبروا كالأخيار والأبرار، واستُخلِفوا فما أترعوا بيوتهم من الفضة والعَين، وما جعلوا أبناءهم وبناتهم ورثاءَ الذهب واللُّجَين، بل ردوا كل ما حصل إلى بيت المال، وما جعلوا أبناءهم خلفاءهم كأبناء الدنيا وأهل الضلال، وعاشوا في هذه الدنيا في لباس الفقر والخصاصة، وما مالوا إلى التنعم كذوي الإمرة والرياسة.. أيُظَنّ فيهم أنهم كانوا ينهبون أموال الناس بالتطاولات ويميلون إلى الغصب والنهب والغارات؟ أكان هذا أثر صحبة رسول الله خيرِ الكائنات، وقد حمدهم الله وأثنى عليهم رب المخلوقات؟ كلا.. بل إنه زكّى نفوسهم وطهّر قلوبهم، ونوّر شموسهم، وجعلهم سابقين للطيبين الآتين. ولا نجد احتمالا ضعيفا ولا وهما طفيفا يُخبر عن فساد نياتهم، أو يشير إلى أدنى سيئاتهم، فضلا عن جزم النفس على نسبة الظلم إلى ذواتهم، ووالله إنّهم كانوا قومًا مقسطين. ولو أنهم أُعطوا واديا من مال من غير حلال فما تَفَلوا عليه وما مالوا كأهل الهوى، ولو كان ذهبا كأمثال الرُبى، أو كمقدار الأرضين. ولو وجدوا حلالا من المال لأنفقوه في سبل ذي الجلال ومهمات الدين. فكيف نظن أنهم أغضبوا الزهراء لأشجار، وآذوا فلذة النبي كأشرار،

بل للأحرار نيّات، ولهم على الحق ثبات، وعليهم من الله صلوات، والله يعلم ضمائر المتقين.

وإن كان هذا من نوع الإيذاء فما نجا أسد الله الفتى من هذا، بل هو أحد من الشركاء، فإنه اختطب بنت أبا الجهل وآذى الزهراء. فإياك والاعتداء، وخُذِ الاتقاء ودَعِ الاعتداء ولا تتناولْ فُضالة الذين زاغوا عن المحجّة، وأعرضوا عن الحق بعد رؤية أنوار الحجّة، وكانوا على الباطل مصرّين. وإني أدلّك إلى صراط تنجيك من شبهات، فتدبَّرْ ولا تركَنْ إلى جهلات. وأقول لله وأرجو أن تنيب، ولو أسمع من بعضكم التثريب، ولا يهتدي عبد إلا إذا أراد الله هداه، ولا يرتوي أحدٌ إلا من سُقياه. إنه يرى قلبي وقلوبكم، وينظر قدمي وأسلوبكم، ويعلم ما في صدور العالمين.

فاعلم أيها العزيز أن حزبًا من علماء الشيعة ربما يقولون إن خلافة الأصحاب الثلاثة ما ثبت* من الكتاب والسُنّة، وأما خلافة سيدنا المرتضى وأسد الله الأتقى فثبت● من وجوه شتى وبرهان أجلى، فلزم من ذلك أن يكون الخلفاء الثلاثة غاصبين ظالمين آلتين، فإن خلافتهم ما ثبتت من خاتم النبيين وخير المرسلين.

أما الجواب فلا يخفى على المتدبرين الفارهين وعباد الله المتقين، أن ادعاء ثبوت خلافة سيدنا المرتضى صلفٌ بحتٌ ما لحقه من الصدق سنا وزورةُ طيف، وليس معه شهادة من كتاب ربنا الأعلى،

---

* *سهو الناسخ، والصحيح: "ثبتت". (الناشر)*

● *سهو الناسخ، والصحيح: "فثبتت". (الناشر)*

وليس في أيدي الشيعة شمّةٌ على ثبوت هذا الدعوى، فلا شك أن خلافته عاري الجلدة من حلل الثبوت، وبادي الجردة كالسبروت، ولو كان عليٌّ بحرَ الأنوار ومستغنيا عن النعوت. فلا تُجادل من غير حق، ولا تستثفر بفويطتك في الرياغة، ولا تُرِنا تُرّهات البلاغة، ولا تقفُ طرق المتعسفين.

وإني والله لطالما فكرت في القرآن وأمعنتُ في آيات الفرقان، وتلقيتُ أمر الخلافة بوسائل التحقيق، وأعددت له الأُهَبَ كلها للتدقيق، وصرفتُ ملامح عيني إلى كل الأنحاء، ورميتُ مرامي لحظي إلى جميع الأرجاء، فما وجدتُ سيفًا قاطعًا في هذا المصافّ كآية الاستخلاف، واستبنتُ أنها من أعظم الآيات، والدلائل الناطقة للإثبات، والنصوص الصريحة من رب الكائنات، لكل من يريد أن يحكم بالحق كالقضاة، وأتيقن أنه من طاب خِيْمُه، وأُشرِبَ ماء الإمعان أديمُه، يقبلها شاكرا، ويحمد الله ذاكرا، على ما هداه وأخرجه من الضالّين.

وإن آيات الفرقان يقينية وأحكامها قطعية، وأما الأخبار والآثار فظنية وأحكامها شكية، ولو كانت مروية من الثقات ونحارير الرواة. ولا تنظروا إلى نضرة حليتها وخضرة دوحتها، فإن أكثرها ساقطة في الظلمات، وليست بمعصومة من مس أيدي ذوي الظلامات، وقد عسر اشتيارها من مشار النحل، وإنما أُخذت من النهل. هذا حال أكثر الأحاديث كما لا يخفى على الطيب والخبيث، فبأي حديث بعد كتاب الله تؤمنون؟ وإذا حصحص الحق

فأين تذهبون؟ وماذا بعد الحق إلا الضلال، فاتقوا الضلال يا معشر المسلمين.

وقد قلتُ من قبل أن الآثار ما كفلت التزام اليقينيات، بل هي ذخيرة الظنيات والشكيات، والوهميات والموضوعات، فمن ترك القرآن واتكأ عليها فيسقط في هُوة المهلكات ويلحق بالهالكين. إنما الأحاديث كشيخ بالي الرياش بادي الارتعاش، ولا يقوم إلا بهراوة الفرقان وعصا القرآن، فكيف يُرجى منها اكتناز الحقائق وخزنُ نشبِ الدقائق من دون هذا الإمام الفائق؟ فهذا هو الذي يؤوي الغريبَ ويُطهّر المعيب، ويفتتح النطق بالدلائل الصحيحة والنصوص الصريحة، وكله يقين وفيه للقلوب تسكين. وهو أقوى تقريرًا وقولا، وأَوْسع حفاوة وطولا، ومَن تركه ومال إلى غيره كالعاشق، فتجاوز الدين والديانة ومرق مروق السهم الراشق، ومن غادر القرآن وأسقطه من العين، وتبع روايات لا دليل على تنـــزُّهها من المَيْن، فقد ضل ضلالا مبينا، وسيصطلي لظى حسرتين، ويريه الله أنه كان على خطأ مبين. فالحاصل أن الأمن في اتباع القرآن، والتباب كل التباب في ترك الفرقان. ولا مصيبة كمصيبة الإعراض عن كتاب الله عند ذوي العينَين، فاذكروا عظمة هذا الرزء وإن جلّ لديكم رزءُ الحسَين، وكونوا طلاب الحق يا معشر الغافلين.

والآن نذكر الآيات الكريمة والحجج العظيمة على خلافة الصدّيق لنريك ثبوته على وجه التحقيق، فإن طريق الارتياب قطعة من العذاب، ومن تبع الشبهات فأوقع نفسه في المهلكات، وأما قطع

الخصومات فلا يكون إلا باليقينيات، فاسمع مني ولا تبعد عني، وأدعو الله أن يجعلك من المتبصرين.

قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه المبين: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَّمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ✪﴾. هذا ما بشّر ربّنا للمؤمنين، وأخبر عن علامات المستخلفين، فمن أتى الله للاستماحة، وما سلك مسلك الوقاحة، وما شد جبائر التلبيس على ساعد الصراحة، فلا بد له من أن يقبل هذا الدليل، ويترك المعاذير والأقاويل، ويأخذ طرق الصالحين.

وأما تفصيله ليبدو عليك دليله فاعلموا يا أولي الألباب والفضل اللباب، أن الله قد وعد في هذه الآيات للمسلمين والمسلمات أنه سيستخلفنّ بعض المؤمنين منهم فضلاً ورحمًا، ويبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنًا، فهذا أمر لا نجد مصداقه على وجه أتمّ وأكملَ إلا خلافة الصدّيق، فإن وقت خلافته كان وقت الخوف والمصائب كما لا يخفى على أهل التحقيق. فإن رسول الله ﷺ لما تُوفّي نزلت

✪ *النور: ٥٦-٥٨*

المصائب على الإسلام والمسلمين، وارتد كثير من المنافقين، وتطاولت ألسنة المرتدين، وادعى النبوة نفرٌ من المفترين، واجتمع عليهم كثير من أهل البادية، حتى لحق بمسيلمة قريبٌ من مائة ألف من الجهَلة الفجَرة، وهاجت الفتن وكثرت المحن، وأحاطت البلايا قريبا وبعيدا، وزُلزل المؤمنون زلزالا شديدا. هنالك ابتُلِيت كل نفس من الناس، وظهرت حالات مُخوفة مدهشة الحواسّ، وكان المؤمنون مضطرين كأن جَمْرًا أُضرمت في قلوبهم أو ذُبحوا بالسكّين. وكانوا يبكون تارة من فراق خير البرية، وأخرى من فتن ظهرت كالنيران المحرقة، ولم يكن أثرًا من أمن، وغلبت المفتتنون كخضراءِ دِمْنٍ، فزاد المؤمنون خوفًا وفزعًا، وملئت القلوب دهشا وجزعا. ففي ذلك الأوان جُعِل أبو بكر رضي الله عنه حاكم الزمان وخليفة خاتم النبيين. فغلب عليه همٌّ وغمٌّ من أطوار رآها، ومن آثار شاهدها في المنافقين والكافرين والمرتدين، وكان يبكي كمرابيع الربيع، وتجري عبراته كالينابيع، ويسأل الله خير الإسلام والمسلمين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما جُعل أبي خليفة وفوّض الله إليه الإمارة، فرأى بمجرد الاستخلاف تموُّجَ الفتن من كل الأطراف، ومَوْرَ المتنبئين الكاذبين، وبغاوة المرتدين المنافقين. فصُبّت عليه مصائب لو صُبّت على الجبال لانهدت وسقطت وانكسرت في الحال، ولكنه أُعطي صبرا كالمرسلين، حتى جاء نصر الله وقُتل المتنبئون وأُهلك المرتدون، وأُزيل الفتن ودفُع المحن، وقُضي الأمر واستقام أمر الخلافة، ونجّى الله المؤمنين من الآفة، وبدّل من بعد

خوفهم أمنا، ومكّن لهم دينهم وأقام على الحق زمنا وسود وجوه المفسدين، وأنجز وعده ونصر عبده الصدّيق، وأباد الطواغيت والغرانيق، وألقى الرعب في قلوب الكفار، فانهزموا ورجعوا وتابوا وكان هذا وعد من الله القهار، وهو أصدق الصادقين.

فانظر كيف تم وعد الخلافة مع جميع لوازمه وإماراته في الصدّيق، وادْعُ الله أن يشرح صدرك لهذا التحقيق، وتدبَّرْ كيف كانت حالة المسلمين في وقت استخلافه وقد كان الإسلام من المصائب كالحريق، ثم ردّ الله الكرّة على الإسلام وأخرجه من البِير العميق، وقُتِل المتنبئون بأشدّ الآلام، وأُهلكَ المرتدون كالأنعام، وآمن الله المؤمنين من خوفٍ كانوا فيه كالميتين. وكان المؤمنون يستبشرون بعد رفع هذا العذاب، ويهنّئون الصدّيق ويتلقونه بالترحاب، ويحمدونه ويدعون له من حضرة رب الأرباب، وبادروا إلى تعظيمه وآداب تكريمه، وأدخلوا حبَّه في تامورهم، واقتدوا به في جميع أمورهم، وكانوا له شاكرين. وصقلوا خواطرهم، وسقوا نواضرهم، وزادوا حبًّا، وودّوا وطاوعوه جهدًا وجِدًّا، وكانوا يحسبونه مباركًا ومؤيّدا كالنّبيين. وكان هذا كلّه من صدق الصدّيق واليقين العميق.

ووالله إنه كان **آدم الثاني** للإسلام، والمظهر الأول لأنوار خير الأنام، وما كان نبيا ولكن كانت فيه **قُوى** المرسلين؛ فبصدقه عادت حديقة الإسلام إلى زخرفه التام، وأخذ زينتَه وقُرّتَه بعد صدمات السهام، وتنوعت أزاهيره وطُهّرت أغصانه من القَتام، وكان قبل ذلك كميتٍ نُدِبَ، وشريد جُدِبَ، وجريح نُوِّبَ وذبيح جُوِّبَ،

وأليمِ أنواعِ تعبٍ، وحريقِ هاجرةٍ ذاتِ لهبٍ، ثم نجّاه الله من جميع تلك البليّات، واستخلصه من سائر الآفات، وأيّده بعجائب التأييدات حتى أَمَّ الملوكَ ومَلِكَ الرقاب، بعدما تكسَّرَ وافترش التراب، فزُمّتْ ألسنة المنافقين وتهلّلَ وجه المؤمنين. وكل نفس حمدت ربه وشكرت الصدّيق، وجاءته مطاوعًا إلا الزنديق، والذي كان من الفاسقين. وكان كل ذلك أجرَ عبدٍ تخيَّرَه الله وصافاه ورضي عنه وعافاه، والله لا يضيع أجر المحسنين.

فالحاصل أن هذه الآيات كلّها مُخبرة عن خلافة الصدّيق، وليس لها محملٌ آخر فانظر على وجه التحقيق، واخش الله ولا تكن من المتعصبين.

ثم انظر أن هذه الآيات كانت من الأنباء المستقبلة لتزيد إيمان المؤمنين عند ظهورها، وليعرفوا مواعيد حضرة العزة، فإن الله أخبر فيها عن زمان حلول الفتن ونزول المصائب على الإسلام بعد وفاة خير الأنام، ووعد أنه سيستخلف في ذلك الزمن بعضا من المؤمنين ويؤمِنهم من بعد خوفهم، ويمكّن دينه المتزلزل ويهلك المفسدين. ولا شك أن مصداق هذا النبأ ليس إلا أبو بكر وزمانه، فلا تنكر وقد حصحص بُرهانه. إنه وجد الإسلام كجدار يريد أن ينقضّ من شر أشرار، فجعله الله بيده كحصن مشيد له جدران من حديد، وفيه فوج مطيعون كعبيد. فانظر هل تجد من ريب في هذا، أو يسوغ عندك إتيان نظيره من زُمر آخرين؟

وإني أعلم أن بعض الشيعة يخاصم أهل السُنّة في هذا المقام، وقد تمادت أيام الخصام، وربما انتهى الأمر من مخاصمة إلى ملاكمة ومقاتلة، وأفضتْ إلى محاكمة ومرافعة. وأتعجب على الشيعة وسوء فهمهم، وأتأوّه لإفراطِ وهمهم، قد تجلّت لهم الآيات وظهرت القطعيات، فيفرّون ممتعضين ولا يتفكرون كالمنصفين. فها أنا أدعوهم إلى أمرٍ يفتح عينهم، وسواء بيننا وبينهم، أن نحاضر في مضمار، ونتضرع في حضرة رب قهار، ونجعل لعنة الله على الكاذبين. فإن لم يظهر أثر دعائي إلى سَنة، فأقبل لنفسي كل عقوبة، وأُقرّ بأنهم كانوا من الصادقين، ومع ذلك أعطي لهم خمسة آلاف من الدراهم المروجة، وإن لم أُعطِ فلعنة الله عليّ إلى يوم الآخرة. وإن شاءوا فأجمع لهم تلك الدراهم في مخزن دولة البريطانة، أو عند أحد من الأعزّة. بيد أني لا أُخاطب كلّ أحد من العامّة، إلا الذي ينسج رسالة على منوال هذه الرسالة. وما اخترتُ هذا المنهج إلا لأعلم أن المباهل المناضل من أهل الفضيلة والفطنة، لا من الجهَلة الغُمر الذين ليس لهم حظ وافر من العربية، فإن الذي حل محل الأنعام لا يستحق أن يؤثَر للإنعام، والذي هو كالجِمال، لا يليق أن يجلس في مجالس الحسن والجَمال، ومن تعرض للمنافثة لا بد له من المشابهة. فمن لم يكن مثلي أنبلَ الكُتّاب فليس هو عندي لائقا للخطاب. ثم لما بلغتُ قُنّةَ هذا المقام المنيع، فضلا من القدير البديع، أحبُّ أن أرى مثلي في هذه الكرامة، وأكره أن أناضل كل أحد من

العامة، فإنه فيه كسر شأني، وعار لعلوّ مكاني، فلا أكلّمه أبدًا، بل أعرض عن الجاهلين.

وعُلّمتُ أن الصدّيق أعظم شأنا وأرفع مكانا من جميع الصحابة، **وهو الخليفة الأوّل** بغير الاسترابة، وفيه نزلت آيات الخلافة، وإن كنتم زعمتم يا عِدا الثقافة أن مصداقها غيره بعد عصره فأْتوا بفصّ خبره إن كنتم صادقين. وإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فلا تكونوا أعداء الأخيار، واقطعوا خصاما متطائر الشرار. وما كان لمؤمن أن يركن إلى اشتطاط اللدد، ولا يدخل باب الحق مع انفتاح السدد. وكيف تلعنون رجلا أثبت الله دعواه، وإذا استَعْدى فأعْداه وأرى الآياتِ لعَدْواه●، وطَرَّ مكر الماكرين، وهو نجّى الإسلام من بلاءٍ هاضَ وجورٍ فاضَ، وقتَل الأفعى النضناضَ، وأقام الأمن والأمان، وخيّب كل من مان، بفضل الله رب العالمين.

و**للصدّيق** حسنات أُخرى وبركات لا تُعدّ ولا تُحصى، وله مننٌ على أعناق المسلمين، ولا ينكرها إلا الذي هو **أوّل المعتدين**. وكما جعله الله موجبا لِأَمن المؤمنين ومِطفاءً لنيران الكافرين والمرتدين، كذلك جعله مِن أوّل حُماة الفرقان وخدام القرآن ومُشيعي كتاب الله المبين. فبذل سعيه حق السعي في جمع القرآنِ واستطلاع ترتيبه من محبوب الرحمنِ، وهملتْ عيناه لمواساة الدين ولا همول عين الماء

● *ورد في أقرب الموارد: استعداه: استغاثه واستنصره، يقال: استعديت على فلان الأميرَ فأعداني أي استعنت به عليه فأعانني عليه. والعدوى بمعنى المعونة. (الناشر)*

المعين. وقد بلغت هذه الأخبار إلى حد اليقين، ولكن التعصب تعقَّرَ فِطنَ المتدبرين. وإن كنت تريد أصل الواقعات ولبّ النكات، فاربأ بنفسك أن تنظر بحيث يغشاك درن التعصبات. وإياك وطرق التعسفات، فإن النصَفَة مفتاح البركات، ولا ترحض عن القلب قشف الظلمة إلا نور العدل والنصفة. وإن العلوم الصادقة والمعارف الصحيحة رفيعة جدًّا كعرش حضرة الكبرياء، والنصفة لها كسُلّم الارتقاء، فمن كان يرجو حل المشكلات وقُنية النكات، فليعمل عملاً صالحا ويتّق التعسّفَ والتعصبات وطرق الظالمين.

ومن حسنات الصدّيق ومزاياه الخاصة أنه خُصّ لمرافقة سفر الهجرة، وجُعل شريك مضائق خير البرية وأنيسه الخاص في باكورة المصيبة، ليثبت تخصّصه بمحبوب الحضرة. وسرُّ ذلك أنّ الله كان يعلم بأن الصدّيق أشجع الصحابة ومن التقاة وأحبّهم إلى رسول الله ﷺ ومن الكُماة، وكان فانيا في **حُبّ سيّد الكائنات**، وكان اعتاد من القديم أن يمونه ويراعي شؤونه، فأسلى به الله نبيَّه في وقتٍ عبوس وعيش بوسٍ، وخُصّ باسم الصدّيق وقربِ نبي الثقلَين، وأفاض الله عليه خلعة ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾، وجعله من المخصوصين.

ومع ذلك كان الصدّيق من المجربين ومن زمر المتبصّرين. رأى كثيرا من مغالق الأمور وشدائدها، وشهد المعارك ورأى مكايدها، ووطئ البوادي وجلامِدَها، وكم من مهلكة اقتحمها! وكم من سبل العوج قومها! وكم من ملحمة قدمها! وكم من فتن عدمها! وكم من راحلة أنضاها في الأسفار، وطوى المراحل حتى صار من

أهل التجربة والاختبار! وكان صابرًا على الشدائد ومن المرتاضين. فاختاره الله لرفاقته مورد آياته، وأثنى عليه لصدقه وثباته، وأشار إلى أنه كان لرسول الله ﷺ أوّل الأحبّاء، وخُلِقَ من طينة الحرّية وتفوَّقَ درَّ الوفاء، ولأجل ذلك اختُيِرَ عند خطب خشًّى وخوف غشًّى، والله عليم حكيم يضع الأمور في مواضعها، ويُجري المياه من منابعها، فنظر إلى ابن أبي قحافة نظرةً، ومن عليه خاصة، وجعله من المتفردين، وقال وهو أصدق القائلين: ﴿إلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَه عَلَيهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لم تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.✪

فتدبَّرْ في هذه الآيات فهما وحزما، ولا تُعرض عمدا وعزما، وأحسنِ النظر فيما قال رب العالمين. ولا تلج مقاحم الأخطار بسبّ الأخيار والأبرار وأحبّاء القهّار، فإن أنْفَسَ القربات تخيُّرُ طرق التقاة والإعراض عن المهلكات، وأمتنَ أسبابِ العافية كفُّ اللسان والتجنب من السبّ والغيبة، والاجتناب من أكل لحم الإخوة. انظر إلى هذه الآية الموصوفة، أتُثني على الصدّيق أو تجعله مورد اللوم والمعتبة؟ أتعرف رجلا آخر من الصحابة الذي حُمد بهذه الصفات بغير الاسترابة؟ أتعرف رجلا سُمّي ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ وسُمي صاحبًا

✪ التوبة: ٤٠

لنبي الثقلين، وأُشرِكَ في فضل ﴿إِن اللهَ مَعَنَا﴾، وجُعِل أحدٌ من المؤيّدين؟ أتعلم أحدًا حُمد في القرآن كمثل هذه المحمدة، وسُفر زحام الشبهات عن حالاته المخفية، وثبت فيه بالنصوص الصريحة لا الظنية الشكّيّة أنه من المقبولين؟ ووالله، ما أرى مثل هذا الذكر الصريح ثابت بالتحقيق الذي مخصوص بالصدّيق لرجل آخر في صحف رب البيت العتيق. فإن كنت في شك مما قلت، أو تظن أني عن الحق ملتُ، فأْت بنظير من القرآن، وأرِنا لرجل آخر تصريحًا من الفرقان، إن كنت من الصادقين.

والله إن الصدّيق رجل أُعطي من الله حلل الاختصاص، وشهد له الله أنه من الخواص، وعزا معيّةَ ذاتِه إليه، وحَمدَه وشَكَرَه وأثنى عليه، وأشار إلى أنه رجل لم يطبْ له فراق المصطفى، ورضي بفراق غيره من القربى، وآثر المولى وجاءه يسعى، فساق إلى الموت ذَوْدَ الرغبة، وأزجى كل هوى المهجة. استدعاه الرسول للمرافقة، فقام ملبّيا للموافقة، وإذ همّ القوم بإخراج المصطفى، جاءه النبي حبيب الله الأعلى، وقال إني أُمرتُ أن أهاجر وتهاجر معي ونخرج من هذا المأوى، فحمدلَ الصدّيق على ما جعله الله رفيق المصطفى في مثل ذلك البلوى، وكان ينتظر نصرة النبي المبغيِّ عليه إلى أن آلت هذه الحالة إليه، فرافقه في شجون من جدّ ومجون، وما خاف قتل القاتلين. ففضيلته ثابتة من جليّة الحكم والنص المحكم، وفضله بيّن بدليل قاطع، وصدقه واضح كصبح ساطع. إنه ارتضى بنعماء الآخرة وترك تنعم العاجلة، ولا يبلغ فضائله أحد من الآخرين.

وإن سألت أن الله لِمَ آثرَه لصدر سلسلة الخلافة، وأيّ سر كان فيه من ربّ ذي الرأفة، فاعلم أن الله قد رأى أن الصدّيق - رضي الله عنه وأرضى - آمنَ مع رسول الله ﷺ بقلب أسلم في قوم لم يسلم، وفي زمان كان نبي الله وحيدًا، وكان الفساد شديدا، فرأى الصدّيق بعد هذا الإيمان أنواع الذلة والهوان ولعن القومِ والعشيرة والإخوان والخلان، وأُوذي في سبيل الله الرحمن، وأُخرج من وطنه كما أُخرج نبي الإنس ونبي الجان، ورأى مِحنًا كثيرة من الأعداء، ولعنًا ولومًا من الأحباء، وجاهدَ بماله ونفسه في حضرة العزّة، وكان يعيش كالأذلّة، بعدما كان من الأعزّة ومن المتنعمين. وأُخرج في سبيل الله، وأُوذي في سبيل الله، وجاهد بأمواله في سبيل الله، فصار بعد الثراء كالفقراء والمساكين. فأراد الله أن يُريه جزاء الأيام التي قد مضت عليه، ويبدّله خيرا مما ضاع من يديه، ويُريه أجر ما رأى ابتغاءً لمرضاة الله، والله لا يُضيع أجر المحسنين. فاستخلفه ربه ورفع له ذكره وأسْلى، وأعزّه رحمة منه وفضلا، وجعله أمير المؤمنين.

اعلموا، رحمكم الله، أن الصحابة كلهم كانوا كجوارح رسول الله ﷺ وفخر نوع الإنسان، فبعضهم كانوا كالعيون وبعضهم كانوا كالآذان، وبعضهم كالأيدي وبعضهم كالأرجل من رسول الرحمن، وكل ما عملوا من عمل أو جاهدوا من جهد فكانت كلها صادرة بهذه المناسبات، وكانوا يبغون بها مرضاة رب الكائنات رب العالمين. فالذي يقول أن الأصحاب الثلاثة كانوا من الكافرين والمنافقين أو الغاصبين فلا يُكفّر إلا كلهم أجمعين؛ لأن الصحابة

كلهم كانوا بايعوا أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم وأرضى، وشهدوا المعارك والمواطن بأحكامهم العظمى، وأشاعوا الإسلام وفتحوا ديار الكافرين. فما أرى أجهلَ مِن الذي يزعم أن المسلمين ارتدوا كلهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، كأنه يكذب كل مواعيد نصرة الإسلام التي مذكورة في كتاب الله العلام، سبحان ربنا حافظ الملة والدين. هذا قول أكثر الشيعة، وقد تجاوزوا الحد في تطاول الألسنة، وغضّوا من الحق عينهم، فكيف ينتظم الوفاق بيننا وبينهم؟! وكيف يرجع الأمر إلى ودادٍ، وإنهم لفي وادٍ ونحن في وادٍ؟! والله يعلم أنّا من الصادقين.

يا حسرة عليهم! إنهم لا يستفيقون من غَشْي التعصبات، ولا يكفكفون من البهتانات. أعجبني شأنهم وما أدري ما إيمانهم، إنهم كفروا الأصحاب الثلاثة وحسبوهم من المنافقين المرتدين، مع أن القرآن ما بلغهم إلا من أيدي تلك الكافرين، فلزمهم أن يعتقدوا أن القرآن الموجود في أيدي الناس ليس بشيء، بل ساقط من الأساس، وليس كلام رب الأناس، بل مجموعة كلمات المحرفين. فإنهم كلهم كانوا خائنين وغاصبين بزعمهم، وما كان أحد منهم أمينا ومن المتدينين. فإذا كان الأمر كذلك فعلى ما عوّلوا في دينهم؟ وأي كتاب من الله في أيديهم لتلقينهم؟ فثبت أنهم قوم محرومون لا دين لهم ولا كتاب الدين. فإن قوما إذا فرضوا أن الصحابة كفروا ونافقوا وارتدوا على أعقابهم وأشركوا، واتّسخوا بوسخ الكفر وما تطهّروا، فلا بد لهم أن يُقرّوا بأنّ القرآن ما بقي على صحته وحُرّف

وبُدّل عن صورته وزِيد ونُقص، وغُيِّر من سحنته وقِيْدَ إلى غير حقيقته، فإن هذا الإقرار لزِمهم ضرورةً بعد إصرارهم جرأةً على أن القرآن ما شاع من أيدي المؤمنين الصالحين، وأشاعه قوم من الكافرين الخائنين المرتدين. وإذا اعتقدوا أن القرآن مفقود، وكل مَن جمعه فهو كافر مردود، فلا شكّ أنهم يئسوا مما نزل على أبي القاسم خاتم النبيين، وغُلقت عليهم أبواب العلم والمعرفة واليقين، ولزمهم أن يُنكروا النواميس كلها، فإنهم محرومون من تصديق الأنبياء والإيمان بكتب المرسلين. وإذا فرضنا أنا* هذا هو الحق أن الصحابة ارتدوا كلهم بعد خاتم الأنبياء، وما بقي على الشريعة الغرّاء إلا علي رضي الله عنه ونفر قليلون معه من الضعفاء، وهم مع إيمانهم ركنوا إلى إخفاء الحقيقة، واختاروا تقيّةً للدنيا الدنية تخوّفًا من الأعداء، أو لجذب المنفعة والحطام، فهذا أعظم المصائب على الإسلام، وبلية شديدة على دين خير الأنام. وكيف تظن أن الله أخلف مواعيده، وما أرى تأييده، بل جعل أوّلَ الدَنِّ دُرْدِيًّا، وأفسد الدين من كيد الخائنين.

فنُشهِد الخلق كلهم أنّا بريئون من مثل تلك العقائد، وعندنا هي مقدمات الكفر وإلى الارتداد كالقائد، ولا تناسب فطرة الصالحين. أكفَر الصحابة بعد ما أفنوا أعمارهم في تأييد الإسلام، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لنصرة خير الأنام، حتى جاءهم الشيب وقرب وقت الحمام؟ فمن أين تولدت إرادة متجددة فاسدة بعد توديعها،

---

* *سهو الناسخ، والصحيح: "أن" . (الناشر)*

وكيف غاضت مياه الإيمان بعد جريان ينابيعها؟ فويل للذين لا يذكرون يوم الحساب، ولا يخافون رب الأرباب، ويسبّون الأخيار مستعجلين.

والعجبُ أن الشيعة يُقرّون بأن **أبا بكر الصّدّيق** آمن في أيام كثرة الأعداء، ورافقَ المصطفى في ساعة شدة الابتلاء، وإذا خرج رسول الله ﷺ فخرج معه بالصدق والوفاء، وحمل التكاليف وترَك المألف والأليف، وتركَ العشيرة كلها واختار الرب اللطيف، ثم حضر كل غزوة وقاتل الكفار وأعان النبي المختار، ثم جُعل خليفة في وقت ارتدت جماعة من المنافقين، وادعى النبوة كثير من الكاذبين، فحاربهم وقاتلهم حتى عادت الأرض إلى أمنها وصلاحها وخاب حزب المفسدين.

ثم مات ودُفن عند قبر سيد النبيين وإمام المعصومين، وما فارقَ حبيبَ الله ورسوله لا في الحياة ولا في الممات، بل التقيا بعد بينِ أيامٍ معدودة فتهادى تحية المحبين. والعجب كلّ العجب أن الله جعل أرض مرقد نبيه بزعمهم مشتركة بين خاتم النبيين والكافرَين الغاصبَين الخائنَين!! وما نجّى نبيّه وحبيبه من أذيّة جوارهما بل جعلهما له رفيقَين مؤذيَين في الدنيا والآخرة، وما باعده عن الخبيثين!! سبحان ربنا عما يصفون، بل أَلحَقَ الطيبين بإمام الطيبين. إن في ذلك لآيات للمتبصرين.

فتفكر يا من تحلّى بفهم، ولا تركَنْ مِن يقين إلى وهم، ولا تجترئ على إمام المعصومين. وأنت تعلم أن قبر نبينا ﷺ روضة

عظيمة من روضات الجنة، وتبوَّأَ كلَّ ذروة الفضل والعظمة، وأحاط كل مراتب السعادة والعزة، فما له وأهل النيران؟ فتفكر ولا تختر طرق الخسران، وتأدّبْ مع رسول الله يا ذا العينين، ولا تجعل قبره بين الكافرَين الغاصبَين، ولا تُضِعْ إيمانك للمرتضى أو الحسَين، ولا حاجة لهما إلى إطرائك يا أسير المَين، فاغمدْ عَضْبَ لسانك وكن من المتقين. أيرضى قلبك ويسرّ سِرْبك أن تُدفَن بين الكفار وكان على يمينك ويسارك **كافران** من الأشرار؟ فكيف تجوّز لسيّد الأبرار ما لا تجوّز لنفسك يا مَورد قهر القهار؟ أتُنــزل خير الرسل منــزلةً لا ترضاها، ولا تنظرُ مراتب عصمته وإياها؟ أين ذهب أدبك وعقلك وفهمك؟ أم اختطفتْه جنٌّ وهمك وتركتك كالمسحورين؟ وكما صُلتَ على الصدّيق الأتقى كذلك صُلتَ على عليّ المرتضى، فإنك جعلت عليًّا - نعوذ بالله - كالمنافقين، وقاعدا على باب الكافرين، ليفيض شربه الذي غاض، وينجبر مِن حاله ما انهاض. ولا شك أن هذه السير بعيدة من المخلصين، ولا توجد إلا في الذي رضي بعادات المنافقين.

وإذا سئل عن الشيعة المتعصّبين: مَن كان أوّل مَن أسلم من الرجال البالغين وخرج من المنكرين المخالفين، فلا بدّ لهم أن يقولوا إنه أبو بكر. ثم إذا سئل: مَن كان أوّل من هاجر مع خاتم النبيين ونبذ العلق وانطلق حيث انطلق، فلا بد لهم أن يقولوا إنه أبو بكر. ثم إذا سئل: من كان أول المستخلَفين ولو كالغاصبين، فلا بد لهم أن يقولوا إنه أبو بكر. ثم إذا سئل: من كان جامعَ القرآن ليشاع في

البلدان، فلا بد لهم أن يقولوا إنه أبو بكر. ثم إذا سئل: من دُفن بجوار خير المرسلين وسيد المعصومين، فلا بد لهم أن يقولوا إنه أبو بكر وعمر. فالعجب كل العجب أن كل فضيلة أُعطيت للكافرين المنافقين، وكل خير الإسلام ظهرت من أيدي المعادين! أيزعم مؤمن أن أول لبنة لإسلام◈ كان كافرا ومن اللئام؟ ثم أول المهاجرين مع فخر المرسلين كان كافرًا ومن المرتدين؟ وكذلك كل فضيلة حصلت للكفار حتى جوار قبر سيد الأبرار، وكان عليٌّ من المحرومين، وما مال إليه الله بالعدوى وما أجدى من جدوى، كأنه ما عرفه وأخطأ من التنكير واحرورف في المسير، وإن هذا إلا كذب مبين.

فالحق أن الصدّيق والفاروق، كانا من أكابر الصحابة وما أَلَتَا الحقوق، واتخذا التقوى شرعة، والعدل نُجْعة، وكانا ينقّبان عن الأخبار ويفتّشان من أصل الأسرار، وما أرادا أن يُلْفِيا من الدنيا بُغْية، وبذلا النفوس لله طاعةً. وإني لم ألقَ كالشيخَين في غزارة فيوضهم وتأييد دين نبي الثقلَين. كانا أَسْرعَ من القمر في اتّباع شمس الأمم والزمر، وكانا في حُبّه من الفانين. واستعذبا كل عذاب لتحصيل صواب، ورضوا بكل هوان للنبي الذي ليس له ثان، وظهرا كالأسود عند تَلقّي القوافل والجنود من ذوي الكفر والصدود، حتى غلب الإسلام وانهزم الجمع، وانزوى الشرك وانقمع، وأشرقت شمس الملّة والدّين. وكانت خاتمة أمرهما جِوار خير المسلمين، مع خدمات

◈ *يبدو أنه سهو، والصحيح: "الإسلام". (الناشر)*

مرضية في الدين، وإحسانات ومنن على أعناق المسلمين. وهذا فضل من الله الذي لا تخفى عليه الأتقياءُ، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، من اعتلق بذيله مع كمال ميله، فإن الله لن يُضيعه ولو عاداه كل ما في العالمين، ولا يرى طالبه خسرًا ولا عسرًا ولا يذَر الله الصادقين.

الله أكبر! ما أعظمَ شأنَ سرِّهما وصدقهما! دُفنوا في مدفن لو كان موسى وعيسى حيَّين لتمناها غبطة، ولكن لا يحصل هذا المقام بالمنية، ولا يعطى بالبغية، بل هي رحمة أزلية من حضرة العزة، ولا تتوجه إلا إلى الذين توجّهت العناية إليهم من الأزل، وحفّتْ بهم ملاحف الفضل. فقضيت العجب كل العجب أن الذين يُفضّلون عليًّا على الصديق لا يرجعون إلى هذا التحقيق، ويتهافتون على ثناء المرتضى ولا ينظرون مقام الصدّيق الأتقى. فاسأل الذين يكفّرون الصدّيق ويلعنون، وسيعلم الذين ظلموا بأي منقلب ينقلبون.

إن الصدّيق والفاروق كانا أميرا ركبٍ علوا لله قُننًا عُلى ودعوا إلى الحق أهل الحضارة والفلا، حتى سرت دعوتهم إلى بلاد قصوى، وقد أُودعت خلافتهما لفائف ثمرات الإسلام، وضُمِّخت بالطِيب العميم بأنواع فوز المرام. وكان الإسلام في زمن الصدّيق متألّما بأنواع الحريق، وشارفَ أن تُشنّ على سِرْبِه فوج الغارات، وتَنادَى عند نهبه يا للثارات، فأدركه الرب الجليل بصدق الصدّيق، وأخرج بَعاعه من البئر العميق، فرجع إلى حالة الصلاح من مَحْلةٍ نازحة، وحالةٍ رازحة، فأوجب لنا الإنصاف أن نشكر هذا المعين ولا نُبالي

المعادين. فإياك أن تلوي عذارك عمن نصر سيدك ومختارك، وحفظ دينك ودارك، وقصد لله فلاحك وما امتار سماحك. فيا للعجب الأظهر! كيف يُنكَرُ مجدُ الصدّيق الأكبر، وقد برقت شمائله كالنيّر؟ ولا شك أن كل مؤمن يأكل أُكُلَ غَرْسه، ويستفيض من علوم درسه. أعطى لديننا الفرقان، ولدنيانا الأمن والأمان، ومن أنكره فقد مان ولقي الشيط والشيطان. والذين التبس عليهم مقامه فما أخطأوا إلا عمدًا، وحسبوا الغدق ثمدًا، فتوغروا غضبًا، وحقروا رجلاً كان أوّلَ المكرمين.

وإن نفس الصدّيق كانت جامعة للرجاء والخوف، والخشية والشوق، والأنس والمحبة. وكان جوهر فطرته أبلغ وأكمل في الصفاء، منقطعًا إلى حضرة الكبرياء، مفارقا من النفس ولذاتها، بعيدًا عن الأهواء وجذباتها، وكان من المتبتلين. وما صدر منه إلا الإصلاح، وما ظهر منه للمؤمنين إلا الفلاح. وكان مبرًّأً من تهمة الإيذاء والضير، فلا تنظر إلى التنازعات الداخلية، واحملها على محامل الخير. ألا تُفكر أن الرجل الذي ما التفت من أوامر ربه ومرضاته إلى بنيه وبناته، ليجعلهم متمولين أو مِن أحد وُلاته، وما كان له من الدنيا إلا ما كان ميرةَ ضروراته، فكيف تظن أنه ظلم آل رسول الله مع أن الله فضّله على كلّهم بحسن نياته، وجعله من المؤيدين. وليس كل نزاع مبنيًا على فساد النيات كما زعم بعض متبعي الجهلات، بل رُبَّ نزاع يحدث من اختلاف الاجتهادات. فالطريق الأنسب والمنهج الأصوب أن نقول إن مبدأ التنازعات في بعض صحابة خير

الكائنات كانت الاجتهادات لا الظلامات والسيئات. والمجتهدون معفوون ولو كانوا مخطئين. وقد يحدث الغلّ والحقد من التنازعات في الصلحاء، بل في أكابر الأتقياء والأصفياء، وفي ذلك مصالح لله ربّ العالمين. فكلّ ما جرى فيهم أو خرج مِن فِيهم، فيجب أن يُطوى لا أن يُروَى، ويجب أن يُفوَّض أمورهم إلى الله الذي هو ولي الصالحين. وقد جرت سُنّته أنه يقضي بين الصالحين على طريق لا يقضي عليه قضايا الفاسقين، فإنهم كلّهم أحباؤه وكلهم من المحبين المقبولين، ولأجل ذلك أخبرنا ربنا عن مآل نزاعهم وقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.*

هذا هو الأصل الصحيح، والحق الصريح، ولكن العامة لا يُحققون في أمر كأولي الأبصار، بل يقبلون القِصص بغضّ الأبصار، ثم يزيد أحدٌ منهم شيئا على الأصل المنقول، ويتلقاه الآخر بالقبول، ويزيد عليه شيئا آخر من عند نفسه، ثم يسمعه ثالث بشدة حرصه، فيؤمن به ويُلحق به حواشي أُخرى، وهلمّ جرّا، حتى تستتر الحقيقة الأولى، وتظهر حقيقة جديدة تخالف الحق الأجلى، وكذلك هلك الناس من خيانات الراوين.

وكم من حقيقة تسترت، وواقعات اختفت وقِصص بُدّلت، وأخبار غُيّرت وحُرّفت، وكم من مفتريات نُسجت، وأمور زيدت

---

* الحجر: ٤٨

ونُقصت، ولا تعلم نفس ما كانت واقعة أوّلاً ثُم ما صُيِّرت وجُعلت. ولو أُحْيِيَ الأوّلون من الصحابة وأهل البيت وأقارب خير البرية، وعُرضت عليهم هذه القِصص، لتعجبوا وحولقوا واسترجعوا من مفتريات الناس، ومما طوّلوا الأمر من الوسواس الخنّاس، وجعلوا قطرةً كبحر عظيم، وأرَوا كجبالٍ ذرّةَ عظمٍ رميمٍ، وجاءوا بكذب يخدع الغافلين.

والحق أن الفتن قد تموجت في أزمنة وسطى، وماجت كتموُّج الريح العاصفة والصراصر العظمى. وكم من أراجيف المفترين قُبلت كأخبار الصادقين، فتَفطَّنْ ولا تكن من المستعجلين. ولو أُعطيتَ مما أفاض الله علينا لقبلتَ ما قلتُ لك وما كنتَ من المعرضين. والآن لا أعلم أنك تقبله أو تكون من المنكرين. والذين كانت **عداوة الشيخَين** جوهرَ روحهم، وجزءَ طبيعتهم، وديدنَ قريحتهم، لا يقبلون قولنا أبدا حتى يأتي أمر الله، ولا يصدّقون كشوفا ولو كانت ألوفا، فليتربصوا زمانا يُبدي ما في صدور العالمين.

أيها الناس.. لا تظنوا ظن السوء في الصحابة، ولا تُهلكوا أنفسكم في بوادي الاسترابة، تلك أمة قد خلت ولا تعلمون حقيقةً بعُدت واختفت، ولا تعلمون ما جرى بينهم، وكيف زاغوا بعدما نوّر الله عينهم، فلا تتبعوا ما ليس لكم به علم واتقوا الله إن كنتم خاشعين. وإن الصحابة وأهل البيت كانوا روحانيين منقطعين إلى الله ومتبتلين، فلا أقبل أبدًا أنهم تنازعوا للدنيا الدنيّة، وأسرَّ بعضُهم

غِلَّ البعض في الطويّة، حتى رجع الأمر إلى تقاتُل بينهم وفساد ذات البين وعناد مبين. ولو فرضنا أن الصدّيق الأكبر كان من الذين آثروا الدنيا وزخرفها، ورضوا بها وكان من الغاصبين، فنضطر حينئذ إلى أن نقرّ أنّ عليًّا أسد الله أيضا كان من المنافقين، وما كان كما نخاله من المتبتلين؛ بل كان يكبّ على الدنيا ويطلب زينتها، وكان في زخارفها من الراغبين. ولأجل ذلك ما فارق الكافرين المرتدين، بل دخل فيهم كالمداهنين، واختار التقيّة إلى مدة قريبة من ثلاثين. ثم لما كان الصدّيق الأكبر كافرا أو غاصبًا في أعين عليّ المرتضى رضي الله تعالى عنه وأرضى، فلِمَ رضي بأن يُبايعه؟ ولِمَ ما هاجر من أرض الظلم والفتنة والارتداد إلى بلاد أخرى؟ ألم تكن أرض الله واسعة فيهاجر فيها كما هي سُنّة ذوي التقى؟ انظر إلى **إبراهيم** الذي وفّى.. كيف كان في شهادة الحق **شديد القوى**، فلما رأى أن أباه ضلّ وغوى، ورأى القوم أنهم يعبدون الأصنام ويتركون الرب الأعلى، أعرض عنهم وما خاف وما بالى، وأُدخِل في النار وأوذي من الأشرار، فما اختار التقيّة خوفا من الأشرار. فهذا هي سيرة الأبرار، لا يخافون السيوف ولا السنان، ويحسبون التقية من كبائر الإثم والفواحش والعدوان، وإن صدرت شمّةٌ منها كمثل ذلّة فيرجعون إلى الله مستغفرين.

ونعجب من **علي** رضي الله عنه كيف **بايع** الصدّيقَ والفاروق، مع علمه بأنهما قد كفرا وأضاعا الحقوق، ولبث فيهما عمرًا واتّبعهما إخلاصا

وعقيدة، وما لغِب وما وهَن وما أرى كراهة، وما اضمحلّت الداعية، وما منعته التقاة الإيمانية، مع أنه كان مطّلعا على فسادهم وكفرهم وارتدادهم، وما كان بينه وبين أقوام العرب بابا مسدودًا وحجابا ممدودًا وما كان من المسجونين. وكان واجبا عليه أن يُهاجر إلى بعض أطراف العرب والشرق والغرب ويحث الناس على القتال ويهيج الأعراب للنضال، ويُسخرهم بفصاحة المقال ثم يقاتل قوما مرتدين.

وقد اجتمع على المسيلمة* الكذاب زهاء مائة ألف من الأعراب، وكان عليٌّ أحقّ بهذه النصرة، وأَولى لهذه الهمة، فلِمَ اتّبع الكافرين، ووالى وقعد كالكسالى وما قام كالمجاهدين؟ فأيّ أمر منعه من هذا الخروج مع إمارات الإقبال والعروج؟ ولِمَ ما نهض للحرب والبأس وتأييد الحق ودعوة الناس؟ ألم يكن أفصح القوم وأبلغهم في العظات ومن الذين ينفخون الروح في الملفوظات؟ فما كان جمع الناس عنده إلا فعل ساعة، بل أقلَّ منها لقوة بلاغة وبراعة، وتأثير جاذب للسامعين. ولما جَمَعَ الناسَ الكاذبُ الدجالُ فكيف أسدُ الله الذي كان مؤيِّده الرب الفعّال، وكان محبوبَ رب العالمين.

ثم من أعجب العجائب وأظهر الغرائب أنه ما اكتفى عليٌّ أن يكون من المبايعين، بل صلّى خلف الشيخَين كل صلاة، وما تخلف في وقت من أوقات، وما أعرض كالشاكين. ودخل في شوراهم

* *سهو، والصحيح: "مسيلمة" . (الناشر)*

وصدّق دعواهم، وأعانهم في كل أمر بجهد همته وسعة طاقته، وما كان من المتخلفين. فانظر.. أهذا من علامات الملهوفين المكفرين؟ وانظر كيف اتبع الكاذبين مع علمه بالكذب والافتراء كأن الصدق والكذب كان عنده كالسواء. ألم يعلم أن الذين يتوكلون على قدير ذي القدرة لا يؤثرون طريق المداهنة طرفة عين ولو بالكراهة، ولا يتركون الصدق ولو أحرقهم الصدق وألقاهم إلى التهلكة وجعلهم عِضِين؟

وإن الصدق مشرب الأولياء، ومن علامات الأصفياء، ولكن المرتضى ترك هذه السجيّة، ونحَت لنفسه التقيّة، واتبع طريقا ذليلا، وكان يحضر فِناء الكافرين بكرة وأصيلا، وكان من المادحين. وهلا اقتدى بنبيّ الثقلين أو شجاعة الحُسين واتخذ طريق المحتالين؟ وأنشدك الله! أهذا من صفات الذين تطهرت قلوبهم من رجس الجبن والمداهنة، وأعطاهم إيمانُهم قوةَ الجَنان والمهجة وزُكّوا من كل نفاق ومداهنة، وخافوا ربهم وفرغوا بعده من كل خشية؟ كلا.. بل هذه الصفات توجد في قوم آثروا الأهواء على حضرة العزة، وقدّموا الدنيا على الآخرة، وما قدروا الله حق قدره، وما استناروا مِن بدره، وما كانوا مخلصين. وإني عاشرت الخواص والعوام، ورأيت كل طبقة من الأنام، ولكني ما رأيت سيرة التقية وإخفاء الحق والحقيقة إلا في الذين لا يُبالون علاقة حضرة العزة. ووالله، لا ترضى نفسي لطرفة عين أن أداهن في الدين ولو قُطعتُ بالسكين، وكذلك كل من هداه الله فضلا ورحما، ورزق من الإخلاص رزقا حسنا، فلا

يرضى بالنفاق وسير المنافقين. أما قرأتَ قصة قوم اختاروا الموت على حياة المداهنة وما شاءوا أن يعيشوا طرفة عين بالتقية وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾؟[◎] فيا حسرة على الشيعة! إنهم اجترؤوا على ذمّ المرتضى بما كان عندهم من منافرة للصدّيق الأتقى، وهفَتْ أحلامهم بتعصب أعمى. يتعامون مع المصباح المتّقد، ولا يتأملون تأمُّل المنتقد. وإنّي أرى كلماتهم مجموعة ريب، وملفوظاتهم رجم غيب، وما مسّهم ريح المحققين.

أيها الناظر في هذا الكتاب.. إن كنتَ من عشاق الحق والصواب، فكفاك آية الاستخلاف لتحصيل ترياق الحق ودفع الذعاف، فإن فيها برهانا قويا للمنصفين. فلا تحسب الأخيار كأهل فساد، ولا تُلحق هُودًا بِعَاد، وتَفكَّرْ لساعة كالمحققين. وأنت تعلم أن الأنباء المستقبلة من الله الرحمن تكون كقضاة لقضايا أهل الحق وأهل العدوان، أو كجنود الله لفتح بلاد البغي والطغيان، فتُفرِّج ضيق المشكلات بكرّاتِها، حتى يُرى ما كان ضنكًا رحيبًا بقوة صِلاتها. فتبارز هذه الأنباءُ كل مناضل برمح خضيب، حتى تقود إلى اليقين كل مرتاب ومريب، وتقطع معاذير المعترضين. وكذلك وقعت آية الاستخلاف، فإنها تَدُعّ كل طاعن حتى ينثني عن موقف الطعن والمصافّ، وتُظهر الحق على الأعداء ولو كانوا كارهين. فإن الآية تُبشر الناس بأيام الأمن والاطمئنان بعد زمن الخوف من أهل

[◎] الأعراف: ١٢٧

الاعتساف والعدوان، ولا يصلح لِمِصْداقيّتها إلا خلافة الصدّيق كما لا يخفى على أهل التحقيق. فإن خلافة عليّ المرتضى ما كان مصداق هذا العروج والعُلى والفوز الأجلى، بل لم يزل تبتزّها عِداها ما فيه من قوة وحِدّة مداها، وأسقطوها في هوّة وتركوا حق أُخوّة، حتى أصاروها كبيتٍ أوهنَ من بيت العنكبوت، وتركوا أهلها كالمتحير المبهوت. ولا شك أن عليّا كان نُجعةَ الرُوّاد وقدوة الأجواد، وحجة الله على العباد، وخيرَ الناس من أهل الزمان، ونورَ الله لإنارة البلدان، ولكن أيام خلافته ما كان زمن الأمن والأمان، بل زمان صراصر الفتن والعدوان. وكان الناس يختلفون في خلافته وخلافة ابن أبي سفيان، وكانوا ينتظرون إليهما كحيران، وبعضهم حسبوهما كفَرْقَدَي سماءٍ وكزَنْدَينِ في وِعاءٍ. والحق أن الحق كان مع المرتضى، ومَن قاتَله في وقته فبغى وطغى، ولكن خلافته ما كان مصداق الأمن المبشَّر به من الرحمن، بل أوذي المرتضى من الأقران، ودِيستْ خلافته تحت أنواع الفتن وأصناف الافتنان، وكان فضل الله عليه عظيما، ولكن عاش محزونا وأليما، وما قدر على أن يشيع الدين ويرجم الشياطين كالخلفاء الأولين، بل ما فرغ عن أسنّة القوم، ومُنع من كل القصد والرَّوْم. وما ألّبوه بل أضبُّوا على إكثار الجور، وما عَدَّوا عن الأذى بل زاحموه وقعدوا في المَور، وكان صبورا ومن الصالحين. فلا يمكن أن نجعل خلافته مصداق هذه البشارة، فإن خلافته كانت في أيام الفساد والبغي والخسارة، وما ظهر الأمن في ذلك الزمن، بل ظهر الخوف بعد الأمن، وبدأت

الفتن، وتواترت المحن، وظهرت اختلالات في نظام الإسلام، واختلافات في أُمّة خير الأنام، وفُتحت أبواب الفتن، وسُدِّدَ الحقد والضغن، وكان في كل يوم جديد نزاعُ قوم جديد، وكثرت **فتن الزمن**، وطارت **طيور الأمن**، وكانت المفاسد هائجة، والفتن مائجة، حتى **قتل الحسين** سيد المظلومين.

ومن تظنّى أن الخلافة كان أمرًا روحانيا من الله رب العالمين، وكان مصداقه المرتضى من أول الحين، ولكنه أنِف واستحى أن يُجادل قومًا ظالمين، فهذا عذر قبيح، وما يتلفظ به إلا وقيح. بل الحق الذي يجب أن يُقبَل والصدق الذي لزم أن يُتقبل أن مصداق نبأ الاستخلاف هو الذي كان جامِعَ هذه الأوصاف، وثبت فيه أنه فتح على المسلمين أبواب أمن وصواب، ونجّاهم من فتن وعذاب، وفلَّ عن الإسلام حدَّ كل ناب، وشمّر تشمير من لا يألو جهدًا، وما لغب وما وهن حتى سوّى غورًا ونجدًا، وأعاد الله على يديه الأمن المفقود، والإقبال الموؤود، فكان الناس بعد خوفهم آمنين. والأنباء المستقبلة إذا ظهرت على صورها الظاهرة فصرفُها إلى معنى آخر ظلمٌ وفسق بعد المشاهدة، فإن الظهور يشفي الصدور، ويهب اليقين ويلين الصخور، وإن في فطرة الإنسان أنه يُقدّم المشهود على غيره من البيان، وهذا هو المعيار لذوي العرفان. فانظُرْ مَن أماط عن الإسلام وعثاءه، وأعاده إلى نضرته وأزال ضرّاءه، وأهلك المفسدين، وأباد المرتدين. ودعا إلى دين الله كل فارّ، وأراهم الحق بأنوار، حتى

اكتظت المساجد بالراجعين، وأحيا الأرض بعد موتها بإذن رب العالمين، وأزال حُمّى الناس مع رحضائه، ورحض درن البغي مع خيلائه بماء معين.

ورحم الله الصدّيق، أحيا الإسلام وقتل الزناديق، وفاض بمعروفه إلى يوم الدين. وكان بَكّاءً ومن المتبتلين. وكان من عادته التضرع والدعاء والاطّراح بين يدي المولى والبكاء والتذلّل على بابه، والاعتصام بأعتابه. وكان يجتهد في الدعاء في السجدة، ويبكي عند التلاوة، ولا شك أنه فخر الإسلام والمرسلين. وكان جوهره قريبًا من جوهر خير البريّة، وكان أول المستعدّين لقبول نفحات النبوة، وكان أول الذين رأوا حشرا روحانيا مِن حاشرٍ مثيلِ القيامة، وبدّلوا الجلابيب المتدنسة بالملاحف المطهرة، وضاهى الأنبياء في أكثر سير النبيين.

ولا نجد في القرآن ذكر أحد من دون ذكره قطعا ويقينا إلا ظن الظانين، والظن لا يُغني من الحق شيئا ولا يروي قومًا طالبين. ومن عاداه فبينه وبين الحق باب مسدود، لا ينفتح أبدًا إلا بعد رجوعه إلى سيِّد الصدِّيقين. ولأجل ذلك لا نرى في الشيعة رجلا من الأولياء، ولا أحدًا من زمر الأتقياء، فإنهم على أعمال غير مرضية عند الله، وإنهم يُعادون الصالحين.

كلام موجز في فضائل أبي بكر الصّديق

رضي الله عنه وأرضاه

كان ﷺ عارفا تامَّ المعرفة، حليم الخلق رحيم الفطرة، وكان يعيش في زيّ الانكسار والغربة، وكان كثير العفو والشفقة والرحمة، وكان يُعرف بنور الجبهة. وكان شديد التعلق بالمصطفى، والتصقت روحه بروح خير الورى، وغَشِيَه من النور ما غَشِيَ مقتداه محبوب المولى، واختفى تحت شعشعان نور الرسول وفيوضه العظمى. وكان ممتازًا من سائر الناس في فهم القرآن وفي محبة سيد الرسل وفخر نوع الإنسان. ولما تجلى له النشأة الأخروية والأسرار الإلهية، نفَض التعلقات الدنيوية، ونبَذ العُلق الجسمانية، وانصبغ بصبغ المحبوب، وترك كل مُراد للواحد المطلوب، وتجردت نفسه عن كدورات الجسد، وتلونت بلون الحق الأحد، وغابت في مرضاة ربّ العالمين. وإذا تمكن الحبُّ الصادق الإلهي من جميع عروق نفسه، وجذر قلبه وذرات وجوده، وظهرت أنواره في أفعاله وأقواله وقيامه وقعوده، سُمّي صدّيقًا وأُعطي علمًا غضا طريّا وعميقا، من حضرة خير الواهبين. فكان الصدق له ملكة مستقرة وعادة طبعية، وبدت فيه آثاره وأنواره في كل قول وفعل، وحركة وسكون، وحواس وأنفاس، وأُدخل في المنعمين عليهم من رب السماوات والأرضين.

وإنه كان نُسخة إجمالية من كتاب النبوة، وكان إمام أرباب الفضل والفتوة، ومن بقية طين النبيين.

ولا تحسب قولنا هذا نوعًا من المبالغة ولا من قبيل المسامحة والتجوز، ولا من فور عين المحبة، بل هو الحقيقة التي ظهرت عليَّ من حضرة العزة. وكان مشربه رضي الله عنه التوكل على رب الأرباب، وقلة الالتفات إلى الأسباب، وكان كظلٍ لرسولنا وسيدنا ﷺ في جميع الآداب، وكانت له مناسبة أزلية بحضرة خير البرية، ولذلك حصل له من الفيض في الساعة الواحدة ما لم يحصل للآخرين في الأزمنة المتطاولة والأقطار المتباعدة. واعلم أن الفيوض لا تتوجه إلى أحد إلا بالمناسبات، وكذلك جرت عادة الله في الكائنات، فالذي لم يُعطه القسّام ذرة مناسبة بالأولياء والأصفياء، فهذا الحرمان هو الذي يُعبَّر بالشقوة والشقاوة عند حضرة الكبرياء. والسعيد الأتم الأكمل هو الذي أحاط عادات الحبيب حتى ضاهاه في الألفاظ والكلمات والأساليب. والأشقياء لا يفهمون هذا الكمال كالأكمه الذي لا يرى الألوان والأشكال، ولا حظ للشقي إلا من تجليات العظموت والهيبة، فإن فطرته لا ترى آيات الرحمة، ولا تشم ريح الجذبات والمحبة، ولا تدري ما المصافاة والصلاح، والأنس والانشراح، فإنها ممتلئة بظلمات، فكيف تنـــزل بها أنوار بركات؟ بل نفس الشقي تتموج تموُّجَ الريح العاصفة، وتشغله جذباتها عن رؤية الحق والحقيقة، فلا يجيء كأهل السعادة راغبا في المعرفة. وأما الصدّيق فقد خُلق متوجّها إلى مبدأ الفيضان، ومقبِلا على رسول الرحمن،

فلذلك كان أحق الناس بحلول صفات النبوة، وأولى بأن يكون خليفة لحضرة خير البرية، ويتحد مع متبوعه ويوافقه بأتم الوفاق، ويكون له مظهرًا في جميع الأخلاق والسير والعادة وترك تعلقات الأنفس والآفاق، ولا يطرأ عليه الانفكاك بالسيوف والأسنة، ويكون مستقرا على تلك الحالة ولا يزعجه شيء من المصائب والتخويفات واللوم واللعنة، ويكون الداخل في جوهر روحه صدقا وصفاء وثباتا واتقاء، ولو ارتد العالم كلّه لا يُباليهم ولا يتأخر بل يقدم قدمه كل حين.

ولأجل ذلك قَفّى الله ذِكر الصدّيقين بعد النبيين، وقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ*﴾. وفي ذلك إشارات إلى الصدّيق وتفضيله على الآخرين، فإن النبي ﷺ ما سمى أحدًا من الصحابة صدّيقًا إلا إياه، ليُظهر مقامه ورَيّاه، فانظر كالمتدبرين.

وفي الآية إشارة عظيمة إلى مراتب الكمال وأهلها لقوم سالكين. وإنا إذا تدبرنا هذه الآية، وبلّغنا الفكر إلى النهاية، فانكشف أن هذه الآية أكبر شواهد كمالات الصدّيق، وفيها سرّ عميق ينكشف على كل من يتمايل على التحقيق. فإن أبا بكر سُمّي صدّيقًا على لسان الرسول المقبول، والفرقان أَلْحقَ الصدّيقين بالأنبياء كما لا يخفى على ذوي العقول، ولا نجد إطلاق هذا اللقب والخطاب على أحد

* *النساء: ٧٠*

من الأصحاب، فثبت فضيلة الصدّيق الأمين، فإن اسمه ذُكر بعد النبيين.

فانظر بالإنابة وفارِقْ غشاوة الاسترابة، فإن الأسرار الخفية مطويّة في إشارات القرآن، ومن قرأ القرآن فابتلع كل المعارف، ولو ما أحستها بحاسةٍ الوجدانُ. وتنكشف هذه الحقائق متجردةً عن الألبسة على نفوس ذوي العرفان، فإن أهل المعرفة يسقطون بحضرة العزة، فتمسّ روحهم دقائقَ لا تمسّها أحدٌ من العالمين. فكلماتهم كلمات، ومن دونها خرافات، ولكنهم يتكلمون بأعلى الإشارة حتى يتجاوزون نظر النظّارة، فيُكفّرهم كل غبي من عدم فهم العبارة. فإنهم قوم منقطعون لا يُشابههم أحدٌ ولا يُشابهون أحدًا، ولا يعبدون إلا أحدًا، ولا ينظرون إلى المتلاعبين. كفَلهم الله كرجل كفَل يتيما، ففوّضه إلى مرضعة حتى صار فطيما، ثم ربّاه وعلّمه تعليما، ثم جعله وارث ورثائه، ومنَّ عليه منّا عظيما، فتبارك الله خير المحسنين.

في فضائل علي رضي الله عنه

اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه

كان رضي الله عنه تقيًّا نقيًّا مِن الذين هم أحب الناس إلى الرحمن، ومِن نخب الجيل وسادات الزمان. أسد الله الغالب وفتى الله الحنّان، نديّ الكف طيب الجنان. وكان شجاعا وحيدًا لا يُزايل مركزه في الميدان ولو قابله فوج من أهل العدوان. أنفد العمر بعيش أنكد وبلغ النهاية في زهادة نوع الإنسان. وكان أول الرجال في إعطاء النشب وإماطة الشجب وتفقُّد اليتامى والمساكين والجيران. وكان يجلّي أنواع بسالة في معارك وكان مظهر العجائب في هيجاء السيف والسنان. ومع ذلك كان عذب البيان فصيح اللسان. وكان يُدخل بيانه في جذر القلوب ويجلو به صدأ الأذهان، ويجلي مطلعه بنور البرهان. وكان قادرًا على أنواع الأسلوب، ومن ناضله فيها فاعتذر إليه اعتذار المغلوب. وكان كاملا في كل خير وفي طرق البلاغة والفصاحة، ومن أنكر كماله فقد سلك مسلك الوقاحة. وكان يندب إلى مواساة المضطرّ، ويأمر بإطعام القانع والمعترّ، وكان من عباد الله المقربين.

ومع ذلك كان من السابقين في ارتضاع كأس الفرقان، وأُعطِي له فهم عجيب لإدراك دقائق القرآن. وإني رأيته وأنا يقظان لا في المنام، فأعطاني تفسير كتاب الله العلام، وقال: هذا تفسيري، والآن

أُولِيْتَ فَهُنّيتَ بما أُوتِيتَ. فبسطتُ يدي وأخذت التفسير، وشكرت الله المعطي القدير. ووجدتُه ذا خَلْق قويم وخُلق صميم، ومتواضعا منكسرا ومتهلّلاً منوّرا. وأقول حلفًا إنه لاقاني حُبًّا وأُلْفًا، وأُلقي في روعي أنه يعرفني وعقيدتي، ويعلم ما أخالف الشيعة في مسلكي ومشربي، ولكن ما شمخ بأنفه عُنفًا، وما نأى بجانبه أنفًا، بل وافاني وصافاني كالمحبين المخلصين، وأظهر المحبة كالمصافين الصادقين. وكان معه الحسين بل الحسنينِ وسيد الرسل خاتم النبيين، وكانت معهم فتاة جميلة صالحة جليلة مباركة مطهّرة معظّمة مُوَقرة باهرة السفور ظاهرة النور، ووجدتها ممتلئة من الحزن ولكن كانت كاتمة، وأُلقي في روعي أنها الزهراء فاطمة. فجاءتني وأنا مضطجع فقعدت ووضعت رأسي على فخذها وتلطفت، ورأيتُ أنها لبعض أحزاني تحزن وتضجر وتتحنن وتقلق كأمّهات عند مصائب البنين. فعُلّمتُ أني نزلتُ منها بمنـــزلة الابن في عُلَق الدين، وخطر في قلبي أن حزنها إشارة إلى ما سأرى ظلما من القوم وأهل الوطن المعادين. ثم جاءني الحسنان، وكانا يبديان المحبة كالإخوان، ووافياني كالمواسين. وكان هذا كشفًا من كشوف اليقظة، وقد مضت عليه بُرْهة من سنين.

ولي مناسبة لطيفة بعليّ والحسين، ولا يعلم سرّها إلا رب المشرقين والمغربين. وإني أحبّ عليا وابناه، وأعادي من عاداه، ومع ذلك لستُ من الجائرين المتعسفين. وما كان لي أن أعرض عما كشف الله عليَّ، وما كنت من المعتدين. وإن لم تقبلوا فلي عملي ولكم عملكم، وسيحكم الله بيننا وبينكم، وهو أحكم الحاكمين.

الباب الثاني

في المهدي الذي هو آدم الأُمّة وخَاتَم الأئمة

اعلموا أن الله الذي خلق الليل والنهار، وأبدأ الظلامات والأنوار، قد جرت عادته من قديم الزمان وأوائل الأزمنة والأوان، أنه لا يتوجّه إلى إصلاح إلا بعد رؤية كمال طلاح، وإذا بلغت الآفة مداها، وانتهت البلية إلى منتهاها، فتتوجه العناية الإلهية إلى إماطتها، وإلى خلق شيء يكون سببا لإزالتها. وأما مثله فيوجد في العالم الجسماني أمثلة واضحة ونظائر بيّنة جليّة للذي اعترته شبهة أو كان من الغافلين.

فأكبر الأمثلة سُنة ربانية توجد في نزول الأمطار والمرابيع التي تنزل لتنضير الزروع والأشجار، فإن المطر النافع لا ينزل إلا في أوقات الاضطرار، ويُعرف وقته عند شدة الحاجة وقرب الأخطار، فإذا الأرض يبست وهمدت، واصفر كل ما أنبتت وأخرجت، ومسّت الضرّاء أهلَها والمصائب نزلت وسقطت، وظن الناس أنهم أُهلكوا، والدواهي قربت ودنت، وما بقي في الأضَى قطرة ماء، والغدر نتنت، فيُغاثون الناسُ في هذا الوقت ويُحيي الله الأرض بعد موتها، وترى البلدة اهتزّت وربَتْ، وترى كل زرع أخرج الشطَأَ وكل الأرض اخضرّت ونضرت، وصار الناس بعد الخطرات آمنين.

وهذه عادة مستمرة، وسُنة قديمة، بل تزيد الشدّة في بعض الأوقات وتتجاوز حد المعمولات، وترى بلدة قد أمحلتْ ذاتَ العُوَيم، وما بقي من جَهام فضلا عن الغَيم، وما بقي بُلالة من الماء ولا عُلالة من ذخائر الشتاء، وما نزلت قطرة من قطر مع طول أمد الانتظار، ولاحت آثار قهر القهار، وأحال الخوف صُورَ الناس، وغلب الخيب وظهر طيران الحواس، وصار الريف كأرض ليس فيها غير الهباء والغبار، وما بقي ورق من الأشجار، فضلا عن الأثمار، فيضطر الناس أشد الاضطرار، وكادوا أن يهلكوا من آثار اليأس والتبار؛ فتتوجه إليهم العناية، ويدركهم رحم الله وتظهر الآية، وتنضر أرضهم من الأمطار، ووجوههم من كثرة الثمار، فيصبحون بفضل الله مخصبين. ذلك مثل الذين أتت عليهم أيام الضلال، وحلّت بهم أسباب مضلّة حتى زاغوا عن محجّة ذي الجلال، فأدركهم ذاتَ بكرة وابلٌ من مُزنِ رحمته، وبعث مجدد لإحياء الدّين، فأخذ الظانّون ظنّ السوء يعتذرون إلى الله ربّ العالمين.

وآخرون يكذّبونه ويقولون ما أنزل الله من شيء، وإن أنت إلا من المفترين. فينـــزل الوابل تترًا حتى لا يُبقي من سوء الظن أثرا، فيرجع الراجعون إلى الحق متندمين. وأمّا الأشقياء فما ينتفعون من وابل الله شيئا، بل يزيدون بغيا وظلما وعسفا، وكانوا قومًا ظالمين. وما اغترفوا من ماء الله وما شربوا، وما اغتسلوا وما توضأوا، وما كانوا أن يسقوا الحرث، وكانوا قوما محرومين، فما رأوا الحق لأنهم كانوا عمين، وإن في ذلك لآيات لقوم مفكّرين.

ومثل آخر لمرسل الخلاق وهو ليالي المحاق كما لا يخفى على المعِن الرمّاق وعلى المتدبرين. فإنها ليال داجية الظلم، فاحمة اللمم، تأتي بعد الليالي المنيرة كالآفات الكبيرة، فإذا بلغ الظلام منتهاه، وما بقي في ليل سناه، فيعشو الله أن يزيل الظلام المركوم، ويبرز النير المغموم، فيبدأ الهلال ويملأ أمنًا ونورًا الليلَ المهال، وكذلك جرت سُنّته في أمور الدّين. فيا حسرة على أهل الشقاق، إنهم يحكمون بقرب الهلال عند مجيء ليالي المحاق، ويرقبونه كالمشتاق، ولكنهم لا ينتظرون في ظلام الدين هلالاً ولو بلغ الظلام كمالا. فالحق والحق أقول إنهم قوم حمقى، وما أُعطي لهم من المعقول حظ أدنى، وما كانوا مستبصرين.

هذا ما شهدتْ سُنّة الله الجارية لنوع الإنسان، وثبت أن الله يُري مسالك الخلاص بعد أنواع المصائب والذوبان. فلما كان من عادات ذي الجلال والإكرام أنه لا يترك عباده الضعفاء عند القحط العام في الآلام، ولا يريد أن ينفكّ نظامٌ يتبعه عطبُ الأجسام، فكيف يرضى بفكّ نظام فيه موت الأرواح ونار جهنم للدوام؟ ثم إذا نظرنا في القرآن فوجدناه مؤيدًا لهذا البيان، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا✪﴾، وإن في ذلك لبشرى لكل من تزكّى، وإشارة إلى أن الناس إذا رأوا في زمان ضرًّا وضيرًا، فيرون في آخرَ نفعا وخيرا، ويرون رخاءً بعد بلاء في الدين والدنيا.

✪ الانشراح: ٦-٧

وكذلك قال في آية أُخرى لقوم يسترشدون: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،* فأَمعِنوا فيه إن كنتم تفكرون. فهذه إشارة إلى بعث مجدد في زمان مفسد كما يعلمه العاقلون. ولا معنى لحفاظة القرآن من غير حفاظة عطره عند شيوع نتن الطغيان، وإثباته في القلوب عند هبّ صراصر الطغيان، كما لا يخفى على ذوي العرفان والمتدبرين.

وإثبات القرآن في قلوب أهل الزمان لا يمكن إلا بتوسط رجل مُطهَّر من الأدناس، ومخصوص بتجديد الحواس، ومُنوَّر بنفخ الروح من رب الناس، فهو المهدي الذي يهدي من رب العالمين، ويأخذ العلم من لدنه ويدعو الناس إلى طعام فيه نجاة المدعوين. وإنما هو كإناء فيه أنواع غذاء، من لبن سائغٍ وشِواءٍ، أو هو كنار شتاءٍ، وللمقرور أشهى أشياء، أو كصحفة من الغَربِ فيها حلواء القند والضرب، فمن جاءه أكَل الخبيص، ومن أعرض فأُخذ ولا محيص، وسيلقى السعير ولو ألقى المعاذير. فثبت أن وجود المهديين عماد الدّين، وتنـــزل أنوارهم عند خروج الشياطين، وتحيطهم كثير من الزمر كهالات القمر. ولما كان أغلب أحوال المهديين أنهم لا يظهرون إلا عند غلبة الضالين والمضلين، فسُمّوا بذلك الاسم إشارة إلى أن الله ذا المجد والكرم طهّرهم من الذين فسقوا وكفروا، وأخرجهم بأيديه من الظلمات إلى النور، ومن الباطل إلى الحق الموفور، وجعلهم ورثاء علم النبوة وأعطاهم حظا منه، ودقّق مداركهم وعلّمهم من لدنه، وهداهم سبلا ما كان لهم أن يعرفوا،

* الحجر: ١٠

وأراهم طرقا ما كان لهم أن ينظروا لولا أن أراهم الله، ولذلك سُمّوا مهديين.

وأما المهدي الموعود الذي هو إمام آخر الزمان، ومنتظَر الظهور عند هبّ سموم الطغيان، فاعلم أن تحت لفظ المهدي إشارات لطيفة إلى زمان الضلالة لنوع الإنسان، وكأنّ الله أشار بلفظ المهدي المخصوص بالهداية إلى زمان لا تبقى فيه أنوار الإيمان، وتسقط القلوب على الدنيا الدنيّة ويتركون سبل الرحمن، وتأتي على الناس زمان الشرك والفسق والإباحة والافتتان، ولا تبقى بركة في سلاسل الإفادات والاستفادات، ويأخذ الناس يتحركون إلى الارتدادات والجهلات، ويزيد مرض الجهل والتعامي، مع شوقهم في سير المعامي والموامي، ويُعرضون عن الرشاد والسداد، ويركنون إلى الفسق والفساد، وتطير جراد الشقاوة على أشجار نوع الإنسان، فلا تبقى ثمر ولا لدونة الأغصان. وترى أن الزمان من الصلاح قد خلا، والإيمان والعمل أجفلا، وطريق الرشد عُلِّق بثريّا السماء. فيذكر الله مواعيده القديمة عند نزول الضرّاء، ويرى ضعف الدين ظاهرًا من كل الأنحاء، فيتوجّه ليُطفئ نار الفتنة الصمّاء، فيخلق رجلا كخلق آدم بيدَي الجلال والجمال، وينفخ فيه روح الهداية على وجه الكمال. فتارة يُسميه عيسى بما خلقه كخلق ابن مريم لإتمام الحجة على النصارى، وتارة يدعوه باسم مهدي أمين بما هو هُدِيَ من ربه للمسلمين الضالين، وأُخرجَ للمحجوبين منهم ليقودهم إلى رب العالمين. هذا هو الحق الذي فيه تمترون، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

أحيا عبدًا من عباده ليدعو الناس إلى طرق رشاده، فاقبلوا أو لا تقبلوا، إنه فعل ما كان فاعلا. أأنتم تضحكون ولا تبكون، وتنظرون ولا تبصرون.

أيها الناس لا تغلوا في أهوائكم، واتقوا الله الذي إليه تُرجعون. ما لكم لا تقبلون حكمَ الله وكنتم تنتظرون؟ شهدت السماء فلا تبالون، ونطقت الأرض فلا تفكّرون. وقالوا إنا لا نقبل إلا ما قرأنا في آثارنا ولو كانت آثارهم مبدَّلة أو وضعها الواضعون؟ أيها الناس انظروا ههنا وهُنا، فاتركوا الدَخَن واقبلوا ما بان ودنا، ولا تتبعوا الظنون أيّها المتقون. قد عدل الله بيننا فلا تعدلوا عن عدله، ولا تركنوا إلى الشقاء أيها المسلمون. يا ذراري الصالحين.. لا تكونوا في يدَي إبليس مرتهَنين، ما لكم لا تتطهرون. واعلموا أن لله تدلّيات ونفحات، فإذا جاء وقت التدلّي الأعظم فإذا الناس يستيقظون، وكلّ نفس تتنبّه عند ظهوره إلا الفاسقون. ولكلّ تَدَلٍّ عنوانٌ وشأنٌ يعرفه العارفون. وأعظم التدليات يأتي بعلوم مناسبة لأهل الزمان، ليطفئ نائرة أهل الطغيان، فينكرها الذين كانوا عاكفين على أصنامهم فيسبّون ويكفرون، ولا يعلمون أنها فايضة من السماء، وأنها شفاء للذين تَنفّروا من قول المخطئين الجاهلين وكانوا يتردّدون، فينـــزل الله لهم علومًا ومعارف تناسب مفاسد الوقت فهم بها يطمئنون، كأنها ثمر غضٌّ طريٌّ وعين جارية، فهم منه يأكلون ومنها يشربون.

فحاصل البيان أن المهدي الذي هو مجدد الصلاح عند طوفان الطلاح، ومبلِّغ أحكام ربّ الناس إلى حد الإبساس، سُمّي مهديًا موعودًا وإماما معهودًا وخليفة الله رب العالمين. والسر الكاشف في هذا الباب أن الله قد وعد في الكتاب أن في آخر الأيام تنـــزل مصائب على الإسلام، ويخرج قوم مفسدون ومن كل حدَب ينسلون، فأشار في قوله ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾[1] أنهم يملكون كلّ خصب وجدب، ويحيطون على كل البلدان والديار، ويُفسدون فسادًا عاما في جميع الأقطار، وفي جميع قبائل الأخيار والأشرار، ويضلّون الناس بأنواع الحيل وغوائل الزخرفة، ويلوّثون عرض الإسلام بأصناف الافتراء والتهمة، ويظهر من كل طرف ظلمةٌ على ظلمة، ويكاد الإسلام أن يزهق بتبعة، ويزيد الضلال والزور والاحتيال، ويرحل الإيمان وتبقى الدعاوي والدلال، حتى يخفى على الناس الصراط المستقيم، ويشتبه عليهم المَهْيَع القديم. لا ينتهجون محجّة الاهتداء، وتزلّ أقدامهم وتغلب سلسلة الأهواء، ويكون المسلمون كثير التفرقة والعناد، ومنتشرين كانتشار الجراد، لا تبقى معهم أنوار الإيمان وآثار العرفان، بل أكثرهم ينخرطون في سلك البهائم أو الذياب أو الثعبان، ويكونون عن الدين غافلين. وكل ذلك يكون من أثر يأجوج ومأجوج، ويشابه الناس العضو المفلوج كأنهم كانوا ميتين.

[1] الأنبياء: ٩٧

ففي تلك الأيام التي يموج فيها بحر الموت والضلال، ويسقط الناس على الدنيا الدنيّة ويعرضون عن الله ذي الجلال، يخلق الله عبدًا كخلقه آدم من كمال القدرة والربوبية، مِن غير وسائل التعاليم الظاهرية، ويُسمّيه آدم نظرا على هذه النسبة، فإن الله خلق آدم بيديه وعلّمه الأسماء كلها، ومنّ منًّا عظيمًا عليه وجعله مهديا، وجعله من المستبصرين.

وكذلك سماه عيسى ابن مريم بالتصريح بما كان خلقه وبعثه كمثل المسيح، وبما كان سِرّه كسرّه المستور، وكانا في علل الظهور من المتحدين. وتشابهت فتن زمنهما وصور إصلاحهما، وتشابهت قلوب أعداء الدين. فالعلامة العظمى لزمان المهدي ظلمة عظيمة من فتن قوم يأجوج ومأجوج إذا علوا في الأرض وأكملوا العروج، وكانوا من كل حدب ناسلين°. وفي اسم المهدي إشارات إلى هذه الفتن لقوم متفكرين. فإن اسم المهدي يدل على أن الرجل المسمى به أُخرج من قوم ضالين، وأدركه هُدى الله ونجاه من قوم فاسقين. فلا شك أن هذا الاسم يدل على مفاسد الزمان بمُجمَلٍ مَطْويٍّ من البيان، ويذكر من زمن الظلمات ووقت الظلامات وأوان نزول الآفات، ويشير إلى شوائب الدهر ونوائبه، وغرائب القادر وعجائبه من تأييد المستضعفين. ويدل بدلالة قطعية على أن المهدي لا يظهر

° **الحاشية**: هذه هي العلامة القطعية لآخر الزمان وقرب القيامة كما جاء في مسلم من خير البرية. قال قال رسول الله ﷺ: تقوم القيامة والرومُ أكثر من سائر الناس. وأراد من الروم النصارى كما هو مُسلَّم عند ذوي الأدراس والأكياس والمحدّثين. منه

إلا عند ظهور الفتن المبيدة والظلمات الشديدة، فإذا كثر الضلال وزاد اللدد والجدال، وعدم العمل الصالح وبقي القيل والقال، فيقتضي هذا الحال أن يهدي رجلا الربُّ الفعّال، وتتضرع الظلمة في الحضرة لينــزل نورٌ لتنوير المحجّة، فتنــزل الملائكة والروح في هذه الليلة الحالكة بإذن رب ذي القدرة الكاملة، فيُجعَلُ رجل مهديا ويُلقَى الروح عليه، ويُنوَّر قلبه وعينيه، ويُعطَى له السؤدد والمكرمة موهبة، ويُجعَل له التقوى حلية، ويُدخَل في عباد الله المنصورين. فإن البغي إذا بلغ إلى انتهاء، فهذا هو يومُ حكم وقضاء، وفصل وإمضاء، وعون وإعطاء، ولو لا دفعُ الله الطلاحَ بأهل الصلاح لفسدت الأرض ولسُدّت أبواب الفلاح ولهلك الناس كلهم أجمعين. فلأجل ذلك جرت سُنة الله أنه لا يُظهِر ليلة ليلاء إلا ويُري بعدها قمراء، وإنه جعل مع كل عسرٍ يُسرا، ومع كل ظلام نورا. ففكر في هذا النظام ليظهر عليك حقيقة المرام، وإن في ذلك لآيات للمتوسمين.

واعلم أن ظلمة هذا الزمان قد فاقت كل ظلمة بأنواع الطغيان، وطلعت علينا آثار مُخوفة وفتن مذيبة الجَنان، والكفار نسلوا من كل حدب كالسِّرحان ناهبين. فحان أن يُعان المسلمون ويُقوَّى المستضعفون، ويوهَن كيد الدجّالين. ألم تمتلئ الأرض ظلاما، وسفهت النفوس أحلاما، ونحَت الناس أصناما، وغلب الكفر وحاق به الظفر وقلّ التخفّر، فزخرفوا الزور الكبير وزيّنوا الدقارير، وصالوا بكل ما كان عندهم من لطم، وما بقي على كيد من ختم، واتفق

كل أهل الطلاح، وصاروا كالماء والراح، وطفق زمر الجهال يتبعون آثار الدجال، ومن يقبل مشرب هذيانهم يكون خالصةَ خُلصانهم. ووالله إن خباثتهم شديدة، وأما حلمهم فمكيدة، بل هو أحبولة من حبائل ختلهم، ورَسَنٌ استمر من فتلهم، وستعرفون دجاليّتهم متلهّفين.

وإنهم قوم تفور المكائد من لسانهم وعينيهم وأنفهم وأُذنيهم، ويديهم وأصدريهم ورجليهم ومِذروَيهم، وأرى كل مضغة من أعضائهم واثبة كالماكرين. فسد الزمان وعمّ الفسق والعدوان وتنصرت الديار والبلدان؛ فالله المستعان. والناس يُدلجون في الليلة الليلاء ويعرضون عن الشمس والضياء، ويضيعون الإيمان للأهواء متعمدين. وأرى القسيسين كالذي أكتبَه قنصٌ، أو بدت له فرصٌ، وأجدهم بأنواع حيل قانصين.

ومن مكائدهم أنّهم يأسُون جراح الموهوص، ويريشون جناح المقصوص، لعلهم يُسخّرون قوما طامعين. يُرغّبون ضُلًّا بنَ ضُلٍّ، ويفرِضون له مِن كلِّ كثيرٍ وقُلٍّ، لعلهم يحبسونه بغُلٍّ، ثم يُسقطونه في هوّة الهالكين. يُبادرون إلى جبر الكسير وفكّ الأسير ومواساة الفقير، بشرط أن يدخل في دينهم الذي هو وقود السعير، ويرغّبونهم إلى بناتهم وأنواع لذاتهم ليغترّ الخَلق بجهلاتهم ويجعلوهم كأنفسهم مفسدين. فالناس لا يرجعون إليهم بأناجيل متلوّة، بل بخطبة مجلوّة أو بمال مجّان كالناهبين. ولا يتنصرون لأعتاب الرؤوف البَرّ، بل يهرولون لاحتلاب الدرّ لكي يكونوا متنعمين. وكذلك أشاعوا

الضلالات ومدّوا أطنابها، وفتحوا من كل جهة بابها، وأعدّوا شهوات الأجوفَينِ ودعوا طُلابها، فإذا يُسِّرَ لأحد منهم العقد، أو أُعطِيَ له النقد، وآمَنوه مِن عيشٍ أنكَد، فكأَنْ قَدْ. وكذلك كانت فخُّ سِيَرهم، وشِباكُ حِيَلهم، ولأجلها اصطفّ لديهم زُمر من الكسالى، لا يعلمون إلا الأكل والشرب والدلال، ولا يوجد صغوُهم إلا إلى شرب المدام أو إلى الغِيد وأطايب الطعام، فيعيشون قرير العين بوصال العِين ووصول العَين. وكذلك لا يألو القسيسون جُهدًا في إضلال العوام، ويُنعمون على الذين هم كالأنعام، وينفُضون عليهم أياديَ الإنعام، ويوطنونهم أمنع مقام من الإكرام، وتراهم مكبّين على الحطام، كأنهم هُنَيدة مِن راغية، أو ثُلّة من ثاغية. فهؤلاء هم الدجال المعهود، فليَسْرِ عنك إنكارك المردود. وإن هذه الأيام أيام اقتحام الظلام، وأظلال خيام يوم القيام، وإنا اغتمدنا الليل واقتحمنا السيل مختبطين. وفي منازلنا طرق يضلّ بها خفير، ويحار فيها نحرير، وخوّفَنا يومنا الصعب الشديد، ورأينا ما كنا منه نحيد، وليس لنا ما يشجّع القلب المزءود، ويحدو النِضْوَ المجهود إلا ربنا رب العالمين.

والناس قد استشرفوا تلفًا وامتلأوا حَزَنًا وأسفًا، ونسوا كل رزء سلَفَ وكل بلاء زلَفَ، ويستنشئون ريح مُغيث ولا يجدون مِن غير نتن خبيث، فهل بعد هذا الشر شر أكبر منه يُقال له الدجال؟ وقد انكشف الآثار وتبينت الأهوال، ورأينا حمارًا يجوبون عليه البلدان، فيطِسّ بأخفافه الظرّانَ، ويجعل سَنَةً كشهر عند ذوي العينين، ويجعل

شهرا كيوم أو يومين، ويعجب المسافرين. إنه مركبٌ جوّاب لا تواهقه رِكاب، ولا ثنية ولا ناب، والسبل له جُدّدت، والأزمنة بظهوره اقتربت، والعِشار عُطّلت، والصحف نُشرت،* والجبال

* اعلم أن القرآن مملوٌّ من الأنباء المستقبلة والواقعات العظيمة الآتية، ويقتاد الناس إلى السكينة واليقين، وعِشاره تخور لحمل السالكين في كل زمان، وأعشاره تفور لتغذية الجائعين في كلّ أوان، وهو شجرة طيبة يؤتي أكله كل حين، وذُلّلت قطوفه في كل وقت للمجتنين. فما من زمن ما له من ثمر، ولا تعطل شجرته كشجرة عنبٍ وتمرٍ، بل يُرِي ثمراته في كل أمر، ويُطعم مستطعمين. ومن أعظم معجزاته أنه لا يغادر واقعة من الواقعات التي كانت مفيدة للناس أو مُضرّة، ولكن كانت من المعظمات، كما قال ﷻ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ◈، وفي هذا إشارة من رب عليم إلى أن كل ما يُفرَق في ليلة القدر من أمرٍ ذي بال، فهو مكتوب في القرآن كتاب الله ذي كل عظمة وجلال، فإنه نزل في ليلة القدر بنـــزول تام، فبورك منه الليل بإذن رب علام؛ فكل ما يوجد من العجائب في هذه الليلة يوجد من بركات نزول هذه الصحف المباركة؛ فالقرآن أحق وأولى بهذه الصفات، فإنه مبدأٌ أوّلُ لهذه البركات، وما بوركت الليلة إلا به من ربّ الكائنات، ولأجل ذلك يصف القرآن نفسه بأوصاف توجد في ليلة القدر، بل الليلة كالهلال وهو كالبدر، وذلك مقام الشكر والفخر للمسلمين.

وإني نظرت مرارا فوجدتُ القرآن بحرا زخّارًا، وقد عظّمه الله أنواعا وأطوارًا، فما للمخالفين لا يرجون له وقارًا، وأنكروا عظمته إنكارا؟ ويتكئون على أحاديث ما طهِّر وجهها حق التطهير، ويتركون الحق الخالص للدقارير، ولا يخافون ربّ العالمين. وإذا قيل لهم تعالوا إلى كتاب سواء بيننا وبينكم لتخلصوا من الظلام وتُفتَح أعينكم، قالوا كفى لنا ما سمعنا من آبائنا الأوّلين. أوَلو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من حقائق الدين؟

وإني فكرتُ حق الفكر، فوجدتُ فيه كل أنواع الذكر، وما من رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. ومن أنبائه أنه أخبر عن نشر الصحف في آخر الزمان، وكذلك ظهر الأمر في هذا الأوان، وقد بدت في هذا الزمن كتب مفقودة بل موؤودة حتى إن كثرها

دُكّت، والبحار فُجّرت، والنفوس زُوّجت، وجُعلت الأرض كأنها مطويّة ومزلف طرفيها، وتُركت القِلاص فلا يُسعى عليها. وليس هذا محلّ إلباس، بل أرصده الله لخير الناس، ولو كان من صنع الدجّالين. فهذه المراكب جارية مذ مُدّة، وليست سواها قعدة، وفيها آيات للمتفطنين.

تعجب الناظرين. وظهرت كل وسائل الإشاعة والكتابة، ولا بد من أن نقبل هذا الأمر من غير الاسترابة، وإن كنتَ في شك من هذا فأْت نظيره من زمن الأولين.

ومن أنباء العليم القهار أنه أخبر من تعطيل العِشار وتفجير البحار وتزويج الديار، فظهر كما أخبر، فتبارك عالم غيوب السماوات والأرضين. وأخبر عن قوم ذوي خصب ينسلون مِن كل حدَب ويعلُون علوًّا كبيرًا، ويُفسدون في الأرض فسادًا مبيرًا، فرأينا تلك القوم بأعيننا ورأينا غلوَّهم وغلبتهم بلغت مشارق الأرض ومغاربها. تكاد السماوات يتفطرن من مفاسدهم، يلبسون الحق بالباطل وكانوا قومًا دجّالين. اتخذوا الحلم والإطماع والتحريف المنّاع شبكةَ الإضلال، وأهلكوا خلقا كثيرا من هذا التثليث كالمغتال، وكل من يقصد منهم طُرق الغول الخبيث فلا بدّ له من هذا التثليث. فيُهلكون بعض الناس بالحلم المبني على الاختداع بأنواع الأطماع، وبعضًا آخر بظلام التحريف الذي هو عدو الشعاع، وكذلك يُضلّون الخلق متعمدين. وما نفَعهم حديثُ الأب والابن وروح القدس، وإن هو إلا الحديث، ولكن نفعهم هذا التثليث ففازوا بمطالب الخبث والرجس، فعجبتُ لهم كيف أُيِّدوا من روح القدس، ونسلوا من كل حدب فرحين. ولكل أمر أجل، فإذا جاء الأجل فلا ينفع الكائدين كيدهم ولا يطيقون قِبَل الصادقين. منه

================

◈ *الدخان: ٥*

فثبت من هذا البيان أن هذا هو وقت ظهور المهدي ومسيح الزمان، فإن الضلالة قد عمّت، والأرض فسدت، وأنواع الفتن ظهرت، وكثرت غوائل المفسدين. وكل ما ذُكر في القرآن من علامات آخر الزمان فقد بدت كلها للناظرين.

والذين يرقبون ظهور المهدي من ديار العرب، أو من بلدة من بلاد الغرب، فقد أخطأوا خطأ كبيرًا وما كانوا مُصيبين. فإن بلاد العرب بلاد حفظها الله من الشرور والفتن ومفاسد كفار الزمن، ولا يُتوَقَّع ظهور الهادي إلا في بلاد كثرت فيها طوفان الضلال، وكذلك جرت سُنة الله ذي الجلال. وإنا نرى أن أرض الهند مخصوصة بأنواع الفساد، وفُتحت فيها أبواب الارتداد، وكثر فيها كل فسق وفجور، وظلم وزور، فلا شك أنها محتاجة بأشدّ الحاجة إلى نصرة الله ذي العزة والقدرة، ومجيءِ مهديٍّ من حضرة العزّة. ووالله لا نرى نظير فساد الهند في ديار أُخرى، ولا فتنًا كفتن هذه النصارى. وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن الدجال يخرج من الديار المشرقية، والقرآن يشير إلى ذلك بالقرائن البينة، فوجب أن نحكم بحسب هذه العلامات الثابتة البديهة، ولا نتوجه إلى إنكار المنكرين.

والذين يرقبون المهدي في مكة أو المدينة فقد وقعوا في الضلالة الصريحة. وكيف، واللهُ كفل صيانة تلك البقاع المباركة بالفضل الخاص والرحمة، ولا يدخل رعب الدجال فيها، ولا يجد أهلها ريح هذه الفتنة. فالبلاد التي يخرج فيها الدجال أحق وأولى بأن يرحم

أهلَها الربُّ الفعال، ويبعث فيهم من كان نازلا بالأنوار السماوية كما خرج الدجال بالقوى الأرضية كالشياطين.

وأما ما قيل أن المهدي مُختفٍ في الغار فهذا قول لا أصل له عند ذوي الأبصار، وهو كمثل قولهم أن عيسى لم يمت بل رُفع بجسمه إلى السماء، وينــزل عند خروج الدجال والفتنة الصمّاء، مع أن القرآن يُخبر عن وفاته ببيان صريح مبين. فالحق أن عيسى والإمام محمد أطرحا عنهما جلابيب أبدانهما وتوفاهما ربّهما وألحقَهما بالصّالحين، وما جعل الله لعبد خُلدًا، وكل كانوا من الفانين. ولا تعجَب من أخبار ذُكر فيها قصة حياة المسيح، ولا تلتفت إلى أقوال فيها ذكر حياة الإمام ولو بالتصريح، وإنها استعارات وفيها إشارات للمتوسّمين.

والبيان الكاشف لهذه الأسرار، والكلام الكامل الذي هو رافع الأستار، أن لله عادة قديمة وسُنّة مستمرة أنه قد يُسمّي الموتى الصالحين أحياء، ليفهِّم به أعداءً أو يبشِّر به أصدقاءً، أو يُكرم به بعض عباده المتقين، كما قال ﷻ في الشهداء: لا تحسبوهم أمواتا بل أحياء، ففي هذا إيماء إلى أن الكافرين كانوا يفرحون بقتل المؤمنين وكانوا يقولون إنّا قتلناهم وإنا من الغالبين. وكذلك كان بعض المسلمين محزونين بموت إخوانهم وخلانهم وآبائهم وأبنائهم مع أنهم قُتلوا في سبيل ربّ العالمين، فسكّت الله الكافرين المخذولين بذكر حياة الشهداء، وبشّر المؤمنين المحزونين أن أقاربهم من الأحياء وأنهم لم يموتوا وليسوا بميتين. وما ذكر في كتابه المبين أن الحياة حياة

روحاني وليس كحياة أهل الأرضين، بل أكد الحياة المظنون بقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ[◎]﴾، وردَّ على المنكرين.

فكيف تعجب من قول: لم يمت عيسى، وقد جاء مثل هذا القول لقوم لحقوا بالموتى وماتوا بالاتفاق، وقُتلوا بالإهرياق، ودُفنوا باليقين. أما يكفي لك حياة الشهداءِ بنص كتاب حضرة الكبرياء مع صحة واقعة الموت بغير التماري والامتراء، فأيّ فضل وخصوصية لحياة عيسى مع أن القرآن يسمّيه المتوفّى، فتدبَّرْ فإنك تُسأل عن كلّ خيانة ونفاق في يوم الدين. يومئذ يتندّم المبطِل على ما أصرّ، وعلى ما أعرض عنه وفرّ، ولكن لا ينفع الندم إذ الوقت مضى ومرّ، وكذلك تطلع نار الله على أفئدة الكاذبين. فويل للمزورين الذين لا ينتهون عن تَزيُّدِهم بل يزيدون كل يوم وكل حين. وكفى لخيانتك أن تتبع بغير تحقيق كل قول رقيق بلغ آذانك، وما تطهِّر من الجهلات جنانك، وتسقط على كل خضراء الدِمَن، كأهل الأهواءِ ومُحبّي الفتن، ولا تفتّش الطيب كالطيبين.

وقد علمت أن إطلاق لفظ الأحياء على الأموات وإطلاق لفظ الحياة على الممات ثابت من النصوص القرآنية والمحكمات الفرقانية، كما لا يخفى على المستطلعين الذين يتلون القرآن متدبّرين، ويصكّون أبوابه مستفتحين. فينير عليك مِن هذه الحقيقة الغرّاء الليلُ

◎ آل عمران: ١٧٠

الذي اكفهرَّ على بعض العلماء حتى انثنوا مُحْقَوقفين بعدما كانوا مستقيمين.

ولعلّك تقول بعد هذا البيان إني فهمتُ حقيقة الحياة كأهل العرفان، ولكن ما معنى النـــزول على وجه المعقول وعلى نهجٍ يُطَمْئِنُ قلوبَ الطالبين. فاعلم أنه لفظ قد كثر استعماله في القرآن، وأشار الله الحميد في مقامات شتى من الفرقان أن كل حِبْرٍ وسِبْرٍ ينـــزل من السماء، وما من شيء إلا ينال كمالَه من العُلَى بإذن حضرة الكبرياء، وتلتقط الأرض ما تنفض السماوات، ويصبّغ القرائح بتصبيغٍ من الفوق، فتُجعَل نفسٌ سعيدًا أو من الأشقياء والمبعدين. فالذين سُعدوا أو شقوا يُشابه بعضهم بعضا، فيزيدون تشابهًا يومًا فيومًا، حتى يُظَنّ أنهم شيء واحد، كذلك جرت سُنة أحسن الخالقين. وإليه يشير ﷻ بقوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ⊙﴾، فليتفكر من أُعطى قوى المتفكرين.

وقد يزيد على هذا التشابه شيء آخر بإذن الله الذي هو أكبر وأقدر، وهو أنه قد يفسُد أُمّة نبيٍّ غاية الفساد، ويفتحون على أنفسهم أبواب الارتداد، وتقتضي مصالح الله وحِكمه أن لا يعذّبهم ولا يُهلكهم بل يدعو إلى الحق ويرحم وهو أرحم الرّاحمين. فيفتح الله عينَ نبيٍّ متوفّى كان أُرسِلَ إلى تلك القوم، فيصرف نظره إليهم كأنه استيقظ من النوم، ويجد فيهم ظلما وفسادا كبيرًا، وغُلوّا

⊙ *البقرة: ١١٩*

وضلالا مُبيرًا، ويرى قلوبهم قد مُلِئَت ظلما وزورًا وفتنا وشرورًا، فيضجَر قلبه، وتقلق مهجته، وتضطرّ روحه وقريحته، ويعشو أن ينـــزل ويُصلح قومه ويُفحمهم دليلا، فلا يجد إليه سبيلا، فيُدركه تدبير الحق ويجعله من الفائزين. ويخلق الله مثيلا له يشابه قلبُه قلبَه، وجوهرُه جوهرَه، ويُنـــزِل إراداتِ الممثَّل به على المثيل، فيفرح الممثل به بتيسُّر هذا السبيل، ويحسب نفسه من النازلين، ويتيقن بتيقن تام قطعي أنه نزل بقومه، وفاز برَوْمه، فلا يبقى له همٌّ بعده ويكون من المستبشرين.

فهذا هو سرٌّ نزول عيسى الذي هم فيه يختلفون. وختم الله على قلوبهم فلا يعرفون الأسرار ولا يسألون. ومن تجرّدَ عن وسخ التعصبات وصُبِّغَ بأنوار التحقيقات، فلا يبقى له شك في هذه النكات، ولا يكون من المرتابين. تلك قوم قد خلوا وذهبوا ورحلوا، فلا يرجعون إلى الدنيا ولا يذوقون موتَين إلا موتتهم الأولى، وتجد السُنة والكتاب شاهدَين على هذا البيان، ولكن بشرط التحقيق والإمعان وإمحاض النظر كالمنصفين.

وقد جاء في بعض الآثار من نبي الله المختار أنه قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني أو مِن أهل بيتي، يواطئ اسمُه اسمي واسمُ أبيه اسمَ أبي". أخرجه أبو داود الذي كان من أئمة المحدثين. فقوله "مني" و "يواطئ اسمه اسمي" إشارة لطيفة إلى بياننا المذكور، ففكِّرْ كطالب النور ،إن كنتَ تريد

أن تنكشف عليك حقيقة السر المستور، فلا تمرّ غاضَّ البصر كالظالمين.

واعلم أن المراد من مواطأة الاسمين مواطأة روحانية لا جسمانية فانية، فإن لكل رجل اسم في حضرة الكبرياء، ولا يموت حتى ينكشف سرّ اسمه سعيدًا كان أو من الأشقياء والضالين. وقد يتفق توارُدُ أسماء الظاهر كما في "أحمد" و"أحمد"، ولكن الأمر الذي وجَدْنا أحقّ وأنشد، فهو أن الاتحاد اتحاد روحاني في حقيقة الاسمين، كما لا يخفى على عارفٍ ذي العينين. وقد كان مِن هذا القبيل ما أُلهمتُ من الرب الجليل وكتبتُه في كتابي "البراهين"، وهو أن ربي كلّمني وخاطبني وقال: "يَا أَحْمَدُ يَتِمُّ اسْمُكَ، وَلا يَتِمُّ اسْمِي." فهذا هو الاسم الذي يُعطَى للروحانيين، وإليه إشارة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا[◎]﴾.. أي علّمه حقائق الأشياء كلها، وجعله عالما مجملاً مثيل العالمين.

وأمّا توارد اسم الأبوين كما جاء في حديث نبيّ الثقلَين، فاعلم أنه إشارة لطيفة إلى تطابُق السرَّين من خاتم النبيين. فإن أبا نبينا ﷺ كان مستعدّا للأنوار فما اتفق حتى مضى من هذه الدار، وكان نورُ نبيّنا موّاجًا في فطرته، ولكن ما ظهر في صورته، والله أعلم بسرّ حقيقته، وقد مضى كالمستورين. وكذلك تشابهَ أبُ المهدي أبَ

[◎] *البقرة: ٣٢*

الرسول المقبول، ففكِّرْ كذوي العقول، ولا تمش معرضا كالمستعجلين.

وأظن أن بعض الأئمة من أهل بيت النبوة، قد أُلهمَ من حضرة العزة، أن الإمام محمدًا قد اختفى في الغار، وسوف يخرج في آخر الزمان لقتل الكفار، وإعلاءِ كلمة الملة والدين. فهذا الخيال يُشابه خيال صعود المسيح إلى السماء ونزوله عند تموُّج الفتن الصمّاء. والسرّ الذي يكشف الحقيقة ويبين الطريقة، هو أن هذه الكلمات ومثلها قد جرت على ألسنة الملهَمين بطريق الاستعارات، فهي مملوّة من لطائف الإشارات، فكأنّ القبر الذي هو بيت الأخيار بعد النقل من هذا الدار، عُبِّرَ منه بالغار وعُبِّرَ خروج المثيل المتحد طبعًا وجوهرًا بخروج الإمام من المغارة، وهذا كله على سبيل الاستعارة. وهذه المحاورات شائعة متعارفة في كلام رب العالمين، ولا يخفى على العارفين. ألا تعرف كيف أنّب الله يهود زمان خاتم النبيين، وخاطبهم وقال بقول صريح مبين: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ..... وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُم بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ

الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.○

هذا ما جاء في القرآن وتقرأونه في كتاب الله الفرقان، مع أن ظاهر صورة هذا البيان يُخالف أصل الواقعة، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان. فإن الله ما فَرَقَ بيهودِ زمانِ نبيِّنا بحرًا من البحار، وما أغرق آل فرعون أمام أعين تلك الأشرار، وما كانوا موجودين عند تلك الأخطار، وما اتخذوا العجل وما كانوا في ذلك الوقت حاضرين، وما قالوا يا موسى لن نؤمن حتى نرى الله جهرة بل ما كان لهم في زمان موسى أثرًا* وتذكرة، وكانوا معدومين. فكيف أخذهم الصاعقة، وكيف بُعِثوا من بعد الموت وفارقوا الحِمام؟ وكيف ظلل الله عليهم الغمام؟ وكيف أكلوا المن والسلوى، ونجّاهم الله من البلوى، وما كانوا موجودين، بل وُلدُوا بعد قرون متطاولة وأزمنة بعيدة مبعدة، ولا تزر وازرة وزر أخرى، والله لا يأخذ رجلا مكان رجل وهو أعدل العادلين. فالسرّ فيه أن الله أقامهم مقام آبائهم لمناسبةٍ كانت في آرائهم، وسماهم بتسمية أسلافهم وجعلهم وُرثاء أوصافهم، وكذلك استمرت سُنة رب العالمين.

وإن كنت تزعم كالجهلة أن المراد من نزول عيسى نزولُ عيسى عليه السلام في الحقيقة فيعسُر عليك الأمر وتخطئ خطأً كبيرا في الطريقة، فإن تَوفِّي عيسى ثابت بنص القرآن، ومعنى التوفّي قد انكشف من

○ *البقرة: ٥١-٥٨*

* *سهو الناسخ، والصحيح: "أثر". (الناشر)*

تفسير نبي الإنس ونبي الجانّ، ولا مجال للتأويل في هذا البيان، فالنـــزول الذي ما فسّره خاتم النبيين بمعنى يفيد القطع واليقين بل جاء إطلاقه على معان مختلفة في القرآن وفي آثار فخر المرسلين، كيف يعارض لفظَ التوفّي الذي قد حصحص معناه وظهر بقول النبي وابن العباس أنه الإماتة وليس ما سواه؟ وما بقي في معناه شك ولا ريب للمؤمنين. وهل يستوي المتشابهات والبينات والمحكمات؟ كلا.. لا تستوي أبدا، ولا يتبع المتشابهات إلا الذي في قلبه مرض وليس من المطهّرين. فالتوفّي لفظ محكم قد صرح معناه وظهر أنه الإماتة لا سواه، والنـــزول لفظ متشابه ما توجّهَ إلى تفسيره خاتم الأنبياء، بل استعمله في المسافرين.

ومع ذلك إن كنتَ يصعب عليك ذكرُ مجدد آخر الزمان باسم عيسى في أحاديث نبي الإنس ونبي الجان ويغلب عليك الوهم عند تعميم المعنى، فاعلم أن اسم عيسى جاء في بعض الآثار بمعانٍ وسيعة عند العلماء الكبار، وكفاك حديث ذكَره البخاري في صحيحه مع تشريحه من العلامة الزمخشري وكمال تصريحه، وهو أن كل بني آدم يمسّه الشيطان يوم ولدتْه أُمُّه إلا مريم وابنها عيسى. وهذا يُخالف نصَّ القرآن: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ✪﴾، وآيات أُخرى، فقال الزمخشري: إن المراد من عيسى وأُمِّه كلُّ رجل تقيّ

✪ الحجر: ٤٣

كان على صفتهما وكان من المتقين المتورعين. فانظر كيف سمّى كلَّ تقي عيسى، ثم انظر إلى إعراض المنكرين.

وإن قُلتَ أنّ الشهادة واحدة ولا بدّ أن تزيد عليه شاهدًا أو شاهدةً، فاسمعْ وما أخال أن تكون من السامعين. اقرأ كتاب "التيسير بشرح الجامع الصغير" للشيخ الإمام العامل والمحدث الفقيه الكامل عبد الرؤوف المناوي رحمه الله تعالى وغفر له المساوي وجعله من المرحومين. إنه ذكر هذا الحديث في الكتاب المذكور وقال: ما جاء في الحديث المزبور من ذكر عيسى وأُمّه "فالمراد: هما ومَن في معناهما". فانظر بإمعان العينين كيف صرح بتعميم هذين الاسمين، فما لك لا تقبل قول المحققين.

وقد سمعتَ أن الإمام مالكًا وابن قيم وابن تيمية والإمام البخاري وكثيرًا من أكابر الأئمة وفضلاء الأُمّة، كانوا مُقرّين بموت عيسى ومع ذلك كانوا يؤمنون بنـــزول عيسى الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ، وما أنكر أحدٌ هذين الأمرين وما تكلم، وكانوا يُفوّضون التفاصيل إلى الله ربّ العالمين، وما كانوا في هذا مجادلين. ثم خلف من بعدهم خلفٌ وسوادٌ أقلَفُ وفيجٌ أعوجُ وأجوفُ، يجادلون بغير علم ويفرّقون، ولا يركنون إلى سِلم ويكفرون عباد الله المؤمنين.

فحاصل الكلام في هذا المقام أن الله كان يعلم بعلمه القديم أن في آخر الزمان يُعادي قوم النصارى صراط الدين القويم، ويصدّون عن سبل الرب الكريم، ويخرجون بإفك مبين. ومع ذلك كان يعلم أن في هذا الزمان يترك المسلمون نفائس تعليم الفرقان، ويتبعون

زخارف بدعات ما ثبتت من الفرقان، وينبذون أمورًا تُعين الدين وتحبّر حلل المؤمنين. وتسقطون* في هوة محدثات الأمور وأنواع الأهواء والشرور، ولا يبقى لهم صدق ولا ديانة ولا دين، فقدر فضلا ورحمة أن يرسِل في هذا الزمان رجلاً يُصلح نوعَي أهل الطغيان، ويتم حجة الله على المبطلين. فاقتضى تدبيره الحق أن يجعل المرسَلَ سَمِيَّ عيسى لإصلاح المتنصرين، ويجعله سَمِيَّ أحمدَ ﷺ لتربية المسلمين، ويجعله حاذيًا حذوَهما وقافيًا خطوَهما، فسماه بالاسمين المذكورين، وسقاه من الراحَين، وجعله دافِعَ همِّ المؤمنين ورافِعَ فتن المسيحيين. فهو عند الله عيسى من جهة، وأحمدُ من جهة، فاترُكِ السبل الأخياف وتجنَّبِ الخلاف والاعتساف، واقبل الحق ولا تكن كالضنين. والنبي ﷺ كما وصفه بصفات المسيح حتى سماه عيسى، كذلك وصفه بصفات ذاته الشريف حتى سماه أحمد ومشابهًا بالمصطفى، فاعلم أن هذين الاسمين قد حصلا له باعتبار توجه⧈ التام إلى الفرقتين، فسماه أهل السماء عيسى باعتبار توجُّهه وتألمه كمُواسي الأسارى إلى إصلاح فرق النصارى، وسمَّوه بأحمد باعتبار توجّهه إلى أُمّة النبي توجّهًا أشد وأزيد، وتألّمِه من سوء اختلافهم وعيشهم أنكد. فاعلم أن عيسى الموعود أحمد، وأن أحمد الموعود عيسى، فلا تنبذ وراء ظهرك هذا السرّ الأجلى. ألا تنظر إلى المفاسد الداخلية وما نالنا من الأقوام النصرانية؟ ألست ترى أن قومنا

* *هذا سهو الناسخ والصحيح "يسقطون". (الناشر)*

⧈ *هذا سهو الناسخ والصحيح "توجُّهه". (الناشر)*

قد أفسدوا طرق الصلاح والدين، واتبعوا أكثرهم سبل الشياطين، حتى صار علمهم كنار الحُباحِب، وحِبرهم كسراب السُباسِب، وصار تطبُّعُ الشرِّ طِباعًا، والتكلّفُ له هوًى طباعًا، وأكبّوا على الدنيا متشاجرين؟

يأبر بعضهم بعضا كالعقارب ولو كان المظلوم من الأقارب، وما بقي فيهم صدق الحديث وإمحاض المصافات، وبدلّوا الحسنات بالسيئات. اشتغلوا في تطلُّب مثالب الإخوان ونسوا إصلاح ذات البين وحقوق أهل الإيمان، وصالوا على الإخوة كصول أهل العدوان. أدحضوا المودّات وأزالوا خلوص النيات، وأشاعوا فيهم الفسق والعدوان، واتبعوا العثرات والبهتان. زالت نفحات المحبة كل الزوال، وهبّت رياح النفاق والجدال. ما بقي سعة الصدر وصفاء الجنان، ودخلت كدوراتٌ في الإيمان، وتجاوزوا حدود التورع والتقاة، وتناسوا حقوق الإخوان والمؤمنين والمؤمنات. لا يتحامَون العقوق ولا يؤدّون الحقوق، وأكثرهم لا يعلمون إلا الفسق والنهات، وتغيَّرَ الزمان فلا ورع ولا تقوى ولا صوم ولا صلاة. قدّموا الدنيا على الآخرة، وقدّموا شهوات النفس على حضرة العزة، وأراهم لدنياهم كالمصاب، ولا يبالون طرق الآخرة ولا يقصدون طريق الصواب. ذهب الوفاء، وفُقد الحياء، ولا يعلمون ما الاتقاء. أرى وجوهًا تلمع فيهم أسرّة الغَدر، يحبّون الليلة الليلاء ويزُقون على البدر. يقرأون القرآن، ويتركون الرحمان. لا يرى منهم جارُهم إلا الجَور، ولا شريكُ حدبهم إلا الغَور، يأكلون الضعفاء ويطلبون

الكَور. كثُر الكاذبون والنمّامون، والواشون والمغتابون، والظالمون المغتالون، والزانون الفاجرون، والشاربون المذنبون، والخائنون الغدّارون، والمايلون المرتشون. قست القلوب والسجايا، لا يخافون الله ولا يذكرون المنايا. يأكلون كما يأكل الأنعام، ولا يعلمون ما الإسلام. وغمرتهم شهوات الدنيا، فلها يتحركون ولها يسكنون، وفيها ينامون وفيها يستيقظون. وأهل الثراء منهم غريقون في النعم ويأكلون كالنَّعم، وأهل البلاء يبكون لفقد النعيم أو من ضغطة الغريم، فنشكو إلى الله الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله النصير المعين.

وأما مفاسد النصارى فلا تُعدّ ولا تُحصى، وقد ذكرنا شطرا منها في أوراقنا الأولى. فلما رأى الله سبحانه أن المفاسد فارت من الخارج والداخل في هذا الزمان، اقتضت حكمته ورحمته أن يُصلح هذه المفاسد برجُل له قَدمان: قدمٌ على قدم عيسى، وقدم على قدم أحمد المصطفى. وكان هذا الرجل فانيا في القدمين حتى سُمّي بالاسمين. فخذوا هذه المعرفة الدقيقة، ولا تخالفوا الطريقة، ولا تكونوا أول المنكرين. وإن هذا هو الحق وربِّ الكعبة، وباطل ما يزعم أهل التشيع والسُنة. فلا تعجلوا عليّ، واطلبوا الهدى من حضرة العزة، وأْتوني طالبين. فإن تُعرضوا ولا تقبلوا، فتعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين.

وهذا هو الحق الذي كشف الله عليّ بفضله العظيم وفيضه القديم. وقد تُوفّي عيسى، والله يعلم أنه المتوفَّى. وتُوفِّي إمامكم محمد الذي ترقبونه، وقائمُ الوقتِ الذي تنتظرونه. وأُلهمتُ من ربي أني أنا المسيح الموعود وأحمد المسعود. أتعجبون ولا تفكّرون في سُنن الله، وتنكرون ولا تخافون؟ وحصحص الحق وأنتم تعرضون، وجاء الوقت وأنتم تبعدون. ومن سُنن الله القديم المستمرة الموجودة إلى هذا الزمان التي لم تنكرها* أحد من الجهلاء وذوي العرفان، أنه قد يذكر شيئًا أو رجُلا في أنبائه المستقبلة، ويريد منه شيئًا آخر أو رجُلا آخر في الإرادة الأزلية. وربما نرى في منام أن رجلا جاء من مقام، فلا يجيء مَن رأيناه بل يجيء مَن ضاهاه في بعض الصفات أو شابهَه في الحسنات أو السيئات. وأقص عليك قصةً عجيبةً وحكايةً غريبةً: إن لي كان ابنا صغيرًا وكان اسمه بشيرًا، فتوفاه الله في أيام الرضاع، والله خير وأبقى للذين آثروا سبل التقوى والارتياع. فأُلهمتُ من ربي: إنا نردّه إليك تفضلاً عليك. وكذلك رأت أُمُّه في رؤياها أن البشير قد جاء، وقال إني أعانقك أشد المعانقة ولا أفارق بالسرعة. فأعطاني الله بعده ابنا آخر وهو خير المعطين. فعلمتُ أنه هو البشير وقد صدق الخبير، فسمّيته باسمه، وأرى حُلْية الأول في جسمه. فثبتت عادة الله برأي العَين، أنه قد يجعل شريكَ اسمٍ

* *هذا سهو الناسخ والصحيح "ينكرها". (الناشر)*

رجلَين. وأما جعلُ البعض سَمِيَّ بعضٍ فهي أسرار لتكميل غرض لا يعلمها إلا مُهجة العارفين.

ولي صديقٌ أحبُّ الأصدقاء وأصدق الأحبّاء، الفاضل العلامة والنحرير الفهّامة، عالمُ رموز الكتاب المبين، عارفُ علوم الحِكم والدّين، واسمه كصفاته المولوي الحكيم نور الدين. فاتفق في هذه الأيام من قضاء الله الحكيم العلام أن ابنه الصغير الأحد، الذي كان اسمه محمد أحمد، مات بمرض الحصبة، فصبر ووافق ربَّه ذا الحكمة والقدرة والرحمة، فرآه رجل في ليلة وفاته بعد مماته كأنه يقول لا تحزنوا لهذه الفرقة، فإني أذهب لبعض الضرورة، وسأرجع إليكم بقدم السرعة. وهذا يدل على أنه سيُعطى ابنا آخر، فيُضاهي الثاني الغابرَ. والله قادر على كل شيء، ولكن أكثر الناس لا يعلمون شؤون أحسن الخالقين.

وكذلك في هذا الباب قصص كثيرة وشهادات كبيرة وقد تركناها خوفا من طول الكلام، وكثيرة منها مكتوبة في كتب تعبير المنام، فارجع إليها إن كنتَ من الشاكّين. وكيف تشكّ وإن الأخبار تواترت في هذا الباب؟ ولعلك تكون أيضًا من المشاهدين لهذا العجاب. فما ظنك.. أتعتقد أن رجلاً متوفّى إذا رآه أحد في المنام، أو أخبر عنه في الإلهام، وقال المتوفى إني سأرجع إلى الدنيا وأُلاقي القربى، فهل هو راجع على وجه الحقيقة.. أو لهذا القول تأويل عند أهل الطريقة؟ فإن كنتم مؤوِّلين في هذا المقام، فما لكم لا

تؤوّلون في أنباءِ تُشابهها بالوجه التام؟ أتُفرّقون بين سُنن الله يا معشر الغافلين؟ فتدبّرْ وما أخال أن تتدبّر إلا أن يشاء ربي هادي الضالين.

وقد عرفت أن علامات ظهور المسيح الذي هو المهدي قد ظهرت، والفتن كثرت وعمّت، والمفاسد غلبت وهاجت وماجت، ويسبّون خير البشر في السكك والأسواق، وماتت الملة والتفّت الساق بالساق، وجاء وقت الفراق، فارحموا الدين المُهان، فإنه يرحل الآن. ونشدتكم الله.. ألا ترون هذه المفاسد بالعين؟ ألا يُترك عينُ زلالِ الإيمان للعَين؟ اشهدوا لله اشهدوا.. أحقٌّ هذا أو من المَين؟ وما زاوَلْنا أشدَّ مِن كيد النصارى، وإنا في أيديهم كالأسارى. إذا أرادوا التلبيس، فيُخجلون إبليس. ظهر البأس، وحصحص اليأس. وقست قلوب الناس، واتبعوا وساوس الوسواس. وبعدوا عن التقوى، وخوف الله الأعلى، بل عادَوا هذا النمط، وضاهَوا السقط. وقلتُ قليلا مما رأيتُ وما استقصيت. ووالله إن المصائب بلغت منتهاها، وما بقي من الملة إلا رسمها ودعواها، وأحاطت الظلمات وعدم سناها، ووطِئ زروعَنا الأوابد، فما بقي ماؤها ومرعاها، وكاد الناس أن يهلكوا من سيل الفتن وطغواها، فأُعطيتُ سفينةً من ربي، وبسم الله مجريها ومرساها. وتفصيل ذلك أن الله وجد في هذا الزمان ضلالات النصارى مع أنواع الطغيان، ورأى أنهم ضلّوا وأضلّوا خلقا كثيرا، وعلَوا عُلوًّا كبيرا، وأكثروا الفساد، وأشاعوا الارتداد، وصالوا على الشريعة الغرّاء، وفتحوا أبواب المعاصي والأهواء، ففارت غيرة الله ذي الكبرياء عند هذه الفتنة الصمّاء. ومع

ذلك كانت فتنة داخلية في المسلمين، ومزّقوا باختلافاتٍ دينَ سيد المرسلين، وصال بعضهم على البعض كالمفسدين. فاختارني الله لرفع اختلافهم، وجعلني حَكَما قاضيا لإنصافهم. فأنا الإمام الآتي على قدم المصطفى للمؤمنين، وأنا المسيح متمم الحجة على النصارى والمتنصرين.

وجمع الله في وجودي الاسمَين كما اجتمعت في زماني نار الفتنتَين، وهذا هو الحق وبالذي خلَق الكونَين. فجئتُ لأشيع أنوار بركاته، واختارني ربي لميقاته. وما كنتُ أن أردّ فضل الله الكريم، وما كان لي أن أخالف مرضاة الرب الرحيم. وما أنا إلا كالميت في يدَي الغسّال، وأُقلَّبُ كلَّ طرفة بتقليب الفعّال، وجئتُ عند كثرة بدعات المسلمين ومفاسد المسيحيين. وإن كنتَ في شك فانظر بإمعان النظر كالمحقق الأريب، في فتنِ بدعاتِ قومنا وجهلاتِ عبَدة الصليب. أما ترى فتنًا متوالية؟ أسمعتَ نظيرها في قرون خالية؟ فما لك لا تفكّر كالعاقلين، ولا تنظر كالمنصفين؟ وإن الله يبعث على كل رأس مائة مجدّدَ الدّين، وكذلك جرت سُنة الله المعين. أتظن أنه ما أرسل عند هذا الطوفان رجلا من ذوي العرفان، ولا تخاف الله آخِذَ المجرمين؟

قد انقضت على رأس المائة إحدى عشر سنة فما نظرتَ، وانكسفت الشمس والقمر فما فكرتَ، وظهرت الآيات فما تذكّرت، وتبينت الأمارات فما وقّرت، أأنت تنام أو كنتَ من المعرضين؟ أتقول لِمَ ما فعل الفعّال كما كنتُ أخال؟ وكذلك زعم

الذين خلوا من قبلك من اليهود، وما آمنوا بخير الرسل وحبيب رب* المعبود، وقالوا: يخرج منا خاتم الأنبياء الموعود، وكذلك كان وعد ربنا بداود، وقالوا: إن عيسى لا يأتي إلا بعد نزول إيليا من السماء. فكفروا بمحمد خير الرسل وعيسى الذي كان من الأنبياء، وختم الله على قلوبهم فما فهموا الحقيقة، وما كانوا متدبّرين. وقست قلوبهم ونحتوا الدقارير، حتى صاروا قردة وخنازير، وكذلك يكون مآل تكذيب الصادقين. وإنهم كانوا علماء أحزابهم وأئمة كلابهم، وكانوا فقهاء ومحدثين وفضلاء ومفسّرين، وكان أكثرهم من الراهبين. فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، وما نفعهم علمُهم ولا نُخْرُوبُهم، وكانوا قوما فاسقين.

فلا تُفرِطوا بجنب الله وليكن فيكم رفق وحلم، ولا تقْفُوا ما ليس لكم به علم، ولا تغلُوا ولا تعتدوا، ولا تعثوا في الأرض ولا تفسدوا، واخشوا الله إن كنتم متقين. قد سمعتم سُنّة تسمية البعض بأسماء البعض، فلا تتركوا السُنن الثابتة من الله القدير، لأوهام ليس لها عندكم من برهان ونظير، وإن كنتم تُصرّون عليها ولا تُعرضون عنها فأنبئونا بنظائر على تلك السُنة إن كنتم صادقين. ولن تقدروا أن تأتوا بنظير، فلا تبرزوا لحرب الرب القدير، ولا تردّوا النعمة بعد نزولها، ولا تدُعّوا الفضل بعد حلولها، ولا تكونوا أوّل المعرضين.

---

* *هذا سهو الناسخ والصحيح "الرب". (الناشر)*

وإن كنتم في شك من أمري، ولا تنظرون نور قمري، وتزعمون أن المهدي الموعود والإمام المسعود يخرج من بني فاطمة لإطفاء فتن حاطمة، ولا يكون من قوم آخرين، فاعلموا أن هذا وهم لا أصل له، وسهم لا نصل له، وقد اختلف القوم فيه، كما لا يخفى على عارفيه، وعلى كمل المحدثين. وجاء في بعض الروايات أن المهدي صاحب الآيات مِن "وُلْدِ العبّاس"، وجاء في البعض "أنّه منّا" أي مِن خير الناس، وفي البعض أنه من "وُلْد الحسن أو الحسين"، فالاختلاف لا يخفى على ذوي العينين. وقد قال رسول الله ﷺ إن سلمان منا أهل البيت، مع أنه ما كان من أهل البيت، بل كان من الفارسيّين.

ثم اعلم أن أمر النسب والأقوام أمر لا يعلم حقيقته إلا علمُ العلام، والرؤيا التي كتبتُها في ذكر الزهراء تدل على كمال تعلُّقي، واللهُ أعلم بحقيقة الأشياء. وفي كتاب "التيسير" عن أبي هريرة: مَن أسلم من أهل فارس فهو قرشي. وأنا من الفارس كما أنبأني ربي، فتفكر في هذا ولا تعجل كالمتعصبين.

ثم الأصول المحكم والأصل الأعظم أن يُنظَر إلى العلامات ويُقدَّمَ البينات على الظنيات، فإن كنت ترجع إلى هذه الأصول فعليك أن تتدبّر بالنهج المعقول ليهديك الله إلى حق مبين، وهو أن النصوص القرآنية والحديثية قد اتفقت على أن الله ذا القدرة قسّم زمان هذه الأمة بحكمة منه ورحمة على ثلاثة أزمنة، وسلّمه العلماء كلهم من غير مِرْية. فالزمان الأوّل هو زمانٌ أوّلُ من القرون الثلاثة مِن بُدُوِّ زمان خير البرية، والزمان الثاني زمانُ حدوث البدعات إلى وقت

كثرة شيوع المحدثات، والزمان الثالث هو الذي شابهَ زمانَ خير البرية، ورجَع إلى منهاج النبوة، وتطهَّرَ مِن بدعات رديّة وروايات فاسدة، وضاهَى زمانَ خاتم النبيين، وسماه "آخرَ الزمان" نبيُّ الثقلين، لأنه آخِر من الزمانَين. وحمِد الله تعالى العباد "الآخِرين" كما حمِد "الأوّلين"، وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ○﴾، ولكلّ ثلّةٍ إمام، وليس فيه كلام. فهذه إشارة إلى خاتم الأئمة، وهو المهدي الموعود اللاحق بالصحابة، كما قال ﷻ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ *، وسئل رسول الله ﷺ عن حقيقة "الآخرين" فوضع يده على كتف سلمان كالموالين المحبين، وقال: "لو كان الإيمان مُعلَّقًا بالثريّا" (أي ذاهبًا من الدنيا) "لناله رجل من فارس". وهذه إشارة لطيفة من خير البريّة إلى آخر الأئمّة، وإشارة إلى أن الإمام الذي يخرج في آخر الزمان ويردّ إلى الأرض أنوار الإيمان يكون مِن أبناء فارس بحكم الله الرحمن. فتفكّر وتدبّر، وهذا حديث لا يبلغ مقامَه حديث آخر، وقد ذكره البخاري في الصحيح بكمال التصريح. وإذا ثبت أن الإمام الآتي في آخر الزمان هو الفارسي لا غيره من نوع الإنسان، فما بقى لرجل آخر موضع قدم، وهذا من الله مليكِ وجودٍ وعدم، فلا تحاربوا الله ولا تجادلوا كالمعتدين، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

○ *الواقعة: ٤٠-٤١*

* *الجمعة: ٤*

القصيدة

في مدح أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وغيرهما من الصحابة

رضي الله عنهم أجمعين

رُوَيدَك لا تَهْجُ الصحابةَ واحْذَرِ ... ولا تَقْفُ كلَّ مزوِّرٍ وتَبَصَّرِ
ولا تتخيَّرْ سبلَ غيٍّ وشقوةٍ ... ولا تلعَنَنْ قومًا أناروا كَنيِّرِ
أولئك أهلُ الله فَاخْشَ فِناءَهم ... ولا تقدَحَنْ في عِرضهم بتهوُّرِ
أولئك حزب الله حُفَّاظُ دينهِ ... وإيذاؤهم إيذاءُ مولًى مُؤَثِّرِ
تَصدَّوا لدين الله صدقًا وطاعةً ... لكلّ عذابٍ محرِق أو مدمِّرِ
وطهَّر وادي العشق بحر قلوبهم ... فما الزبدُ والغُثاء بعدَ التطهُّرِ
وجاءوا نبيَّ الله صدقا فنوّروا ... ولم يبقَ أثرٌ مِن ظلامٍ مُكدِّرِ
بأجنحة الأشواق طاروا إطاعةً ... وصاروا جوارحَ للنبيّ الموقَّرِ
ونحن وأنتم في البساتين نرتَعُ ... وهمْ حضروا ميدانَ قتلٍ كمَحشَرِ
وتركوا هوى الأوطان لله خالصًا ... وجاءوا الرسولَ كعاشق متخَيِّرِ
على الضعف صوّالون مِن قوة الهدى ... على الجرح سلّالون سيفَ التشذُّرِ

أتكـــفر خلفاءَ النـــبيّ تجاسرًا ... أتلعَنُ مَن هو مثـــلُ بدرٍ منوَّرِ
وإن كنتَ قد ساءتْك أمرُ خلافةٍ ... فحارِبْ مَلِيكًا اجتباهم كمُشتري
فبإذنه قد وَقَعَ ما كان وَاقــعًا ... فلا تَبْكِ بعد ظهور قَدَرٍ مقدَّرِ
وما استخلفَ اللهُ العليمُ كذاهلٍ ... وما كان ربُّ الكائناتِ كمُهْتَرِ
وقُضِيتْ أمورُ خلافةٍ موعــودةٍ ... وفي ذاك آياتٌ لقـــلبٍ مفكِّرِ
وإني أرى الصدّيقَ كالشمس في الضحى ... مـــآثرُه مقبولةٌ عنـــدَ هوجرِ
وكان لذات المصطفى مثلَ ظلِّهِ ... ومهما أشار المصطفى قام كالجَرِي
وأَعطى لنصر الدين أموالَ بيتهِ ... جميعًا سِوى الشيءِ الحقير المحقَّرِ
ولـــمَّا دعـــاه نبيُّـــنا لرفـــاقةٍ ... على الموت أقبلَ شائقا غيرَ مُدبِرِ
وليس محـــلَّ الطعن حسنُ صفاتهِ ... وإن كنتَ قد أزمعتَ جَورًا فعَيِّرِ
أبادَ هوى الدنيا لإحـــياء دينهِ ... وجاء رسولَ الله مِن كلّ مَعبَرِ
عليك بصُحف الله يا طالبَ الهدى ... لتنظُرَ أوصاف العتيـــق المطهَّرِ
وما إنْ أرى واللهِ في الصحب كلهمْ ... كمثل أبي بكرٍ بقلبٍ معطَّـــرِ
تخيّرَه الأصحاب طوعًا لفضلهِ ... وللبحر سلطانٌ على كلّ جعفرِ
ويثني على الصـــدّيق ربٌّ مهيمنٌ ... فما أنت يا مسكين إن كنتَ تزدري
له باقيـــات صالحات كشارقٍ ... له عـــينُ آياتٍ لهذا التطـــهُّرِ
تَصدَّى لنصر الدين في وقت عسرهِ ... تَبـــدَّى بغارٍ بالرسول المؤزَّرِ
مَكيـــنٌ أمين زاهـــد عند ربّهِ ... مخلِّصُ دينِ الحقّ مِن كلِّ مُهجِرِ
ومِن فتنٍ يُخشى على الدين شرُّها ... ومِن محنٍ كانت كصخرٍ مكسِّرِ

ولو كان هذا الرجل رجلا منافقا فمَن للنبي المصطفى مِن معزِّرِ
أتحسب صدّيقَ المهيـــمنِ كافرًا لقولِ غريقٍ في الضلالة أَكْفَرِ
وكان كقـــلب الأنبياء جَنانُهُ وهمّـــتُهُ صوّالة كالغضنفرِ
أرى نورَ وجه الله في عاداتـــهِ وجلواتِـــه كأنه قِـــطعُ نَـــيِّرِ
وإنّ له في حضرة القدس درجةً فويـــلٌ لألسنةٍ حِدادٍ كخنجرِ
وخدماتُـــه مثلُ البدور منـــيرةٌ وثمراته مثل الجنـــا المستكـــثَرِ
وجاء لتـــنضير الرياض مبشّرًا فلِلّهِ دَرُّ منضِّـــرٍ ومبشِّـــرِ*

* إنّا بيّنا أن أبا بكر كان رجلا عبقريًّا وإنسانًا إلهيًّا، جلّى مَطْلَعَ الإسلام بعد الظلام، وكان قصاراه أنه مَن ترك الإسلام فباراه، ومن أنكر الحق فماراه، ومن دخل دار الإسلام فداراه. كابدَ في إشاعة الإسلام شدائد، وأعطى الخَلق دُررًا فرائد. ساس الأعراب بالعزم المبارك، وهذّب تلك الجِمال في المسارح والـــمَبارِك واستقراء المسالك ورُغاء المعارك. ما استفتى بأسًا، ورأى من كل طرف يأسًا. انبرى لمباراةِ كل خصيم، وما استهوته الأفكار ككل جبان وسقيم. وثبت عند كل فساد وبلوى، أنه أرسخ من رضوى، وأهلكَ كلَّ من تنبأ من كذب الدعوى، ونبذ العُلق لله الأعلى. وكان كلُّ اهتشاشه في إعلاء كلمة الإسلام واتباع خير الأنام. فدونك حافِظْ دينَك واتركْ طنينك. وإني ما قلت كمتبع الأهواء أو مقلِّد أمرٍ وجد من الآباء، بل حُبِّبَ إلي مُذْ سَعَتْ قدمي ونفَث قلمي أن أتخذ التحقيق شِرعة والتعميق نُجعة، فكنت أُنقّب عن كل خبر، وأسأل عن كل حِبر. فوجدت الصدّيق صدّيقًا، وكُشِفَ عليّ هذا الأمر تحقيقا. فإذا ألفيتُه إمام الأئمة وسراج الدّين والأمّة، شددتُ يدي بغَرْزِه، وأويت إلى حِرْزه، واستنـــزلتُ رحمة ربي بحب الصالحين. فرحمني وآواني وأيّدني وربّاني وجعلني من المكرمين، وجعلني مجدِّدَ هذه المائةِ والمسيحَ الموعود من الرحمة، وجعلني من الُمكلَّمين، وأَذهَبَ عني الحَزَنَ وأعطاني ما لم يُعطَ أحد من العالمين. وكل ذلك بالنبي الكريم الأمّي وحُبِّ هؤلاء المقربين. اللهم فصلِّ وسلِّمْ على أفضل رسلك وخاتم أنبيائك محمد خير الناس أجمعين.

ووالله إن أبا بكر كان صاحب النبي ﷺ في الحرمين وفي القبرَين.. أعني قبر الغار الذي توارى فيه كالميت عند الاضطرار، والقبر الذي في المدينة ملتصقا بقبر خير البرية. فانظر مقام الصديق إن كنت من أهل التعميق. حمِده اللهُ وخلافتَه في القرآن، وأثنى عليه بأحسن البيان. ولا شك أنه مقبولُ اللهِ ومستطاب، وهل يحتقر قدرَه إلا مُصاب؟ غابت شوائب الإسلام بخلافته، وكمل سعود المسلمين برأفته، وكاد أن ينفطر عمود الإسلام لو لا الصدّيق صديق خير الأنام. وجد الإسلام كالمُهتَر الضعيف، والمؤوف النحيف، فنهض لإعادة حِبْره وسِبْره كالحاذقين، وأوغل في أثر المفقود كالمنهوبين، حتى عاد الإسلام إلى رشاقة قدّه وأَسالة خدّه، ونضرة جماله وحلاوة زلاله، وكان كل هذا مِن صدق هذا العبد الأمين. عَفَّرَ النفس وبدّل الحالة، وما طلب الجعالة إلا ابتغاء مرضاة الرحمن، وما أظلَّ المَلَوانِ عليه إلا في هذا الشأن. كان محييَ الرُفاتِ، ودافِعَ الآفات، وواقِيَ الغافات، وكلُّ لُبِّ النصرة جاء في حصّته، وهذا من فضل الله ورحمته.

والآن نذكر قليلا من الشواهد، متوكّلاً على الله الواحد، ليظهر عليك كيف أعدمَ فتنًا مشتدّة الهبوب، ومحنًا مشتطّة الأُلْهوب، وكيف أعدمَ في الحرب أبناء الطعن والضرب، فبانت دخيلةُ أمره من أفعاله، وشهدت أعماله على سرّ خصاله. فجزاه الله خير الجزاء، وحشره في أئمة الأتقياء، ورحِمنا بهؤلاء الأحباء، فتقبَّلْ مني يا ذا الآلاء والنعماء، وإنك أرحم الرحماء، وإنّك خير الرّاحمين.

فتنة الارتداد بعد وفاة النبيّ ﷺ خير الرسل وإمام العباد

لما قُبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب، إما القبيلة مستوعبة وإمّا بعض منها، ونجم النفاق، والمسلمون كالغنم في الليلة الممطرة، لقلّتِهم وكثرة عدوهم وظلام الجو بفقد نبيهم. (الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون صفحة ٦٥)

وقال أيضا: ارتدت العرب عامة وخاصة، واجتمع على طليحة عوامُّ طيءٍ وأسد، وارتدت غطفانُ، وتوقفت هوازن فأمسكوا الصدقة، وارتد خواص مِن بني سليم، وكذا سائر الناس بكل مكان. (صفحة٦٥)

وقال ابن الأثير في تاريخه: لما توفّي رسول الله ﷺ ووصل خبره إلى مكة وعامِلِه عليها عتاب بن أسيد، استخفى عتاب وارتجّت مكة وكاد أهلها يرتدون. (الجزء الأول صفحة ١٣٤)

وقال أيضا: ارتدت العرب إمّا عامة أو خاصة مِن كل قبيلة، وظهر النفاق واشرأبّت اليهود والنصرانية، وبقي المسلمون كالغنم في الليلة المطرة، لِفَقْد نبيّهم وقِلّتهم وكثرة عدوّهم، فقال الناس لأبي بكر: إن هؤلاء - يعنون جيش أسامة جند المسلمين - والعرب على ما ترى، فقد انتفضتْ بك، فلا ينبغي أن تُفرِّق جماعة المسلمين عنك، فقال أبو بكر: والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذتُ جيش أسامة كما أمر النبي ﷺ، ولا أردّ قضاءً قضى به رسول الله ﷺ. وقال عبد الله بن مسعود: لقد قمنا بعد النبي ﷺ مقامًا كِدْنا أَنْ نهلك لو لا أن مَنَّ الله علينا بأبي بكر رضي الله عنه، أجمعْنا على أن نقاتل على ابنة مَخاضٍ وابنة لَبون، وأن نأكل قُرًى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين. (أيضا صفحة ١٤٢)

خروج مدّعي النبوة

وثَب الأسود باليمن، ووثب مسيلمة باليمامة، ثم وثب طليحة بن خويلد في بني أسد، يدّعي كلهم النبوة. (ابن خلدون الجزء الثاني صفحة٦٠)

وتنبأتْ سجاحُ بنت الحارث من بني عقفان، واتبعها الهذيل بن عمران في بني تغلب، وعقبة بن هلال في النمر، والسليل بن قيس في شيبان، وزياد بن بلال، وأقبلتْ من الجزيرة في هذه الجموع قاصدة المدينة لتغزو أبا بكر رضي الله عنه. (صفحة ٦٥)

استخلافه ﷺ أبا بكر رضي الله عنه نائبا عنه للإمامة في الصّلاة

قال ابن خلدون: ثم ثقل به الوجعُ وأُغميَ عليه، فاجتمع عليه نساؤه وأهل بيته والعباس وعليّ، ثم حضر وقتُ الصلاة فقال: مُرُوا أبا بكر فَلْيُصَلِّ بالناس. (الجزء الثاني صفحة ٦٢)

مكان أبي بكر رضي الله عنه من النبي ﷺ

وقال ابن خلدون: ثم قال رسول الله ﷺ بعدما أوصى بثلاث: سُدُّوا هذه الأبواب في المسجد إلا باب أبي بكر، فإني لا أعلَم امرءًا أفضل يدًا عندي في الصحبة من أبي بكر. (الجزء الثاني صفحة ٦٢)

شدّة حُبّ أبي بكر للنّبي ﷺ

وذكر ابن خلدون: وأقبل أبو بكر ودخل على رسول الله ﷺ، فكشف عن وجهه وقبّله، وقال: بأبي أنت وأمّي، قد ذُقتَ الموتة التي كتب الله عليك، ولن يصيبك بعدها موتة أبدًا. (أيضا صفحة ٦٣)

وكان من لطائف منن الله عليه واختصاصه بكمال القرب من النبي ﷺ كما نص به ابن خلدون أنه رضي الله عنه حُمل على السرير الذي حُمل عليه رسول الله ﷺ وجُعل قبره مثلَ قبر النبي مسطَّحًا، وألصقوا لحده بلحد النبي ﷺ، وجُعل رأسه عند كتفي النبي ﷺ، وكان آخر ما تكلم به: تَوَفَّني مسلِمًا وأَلْحِقْني بالصالحين. (صفحة ١٧٦)

ولنكتب هنا **كتابا كتبه الصدّيق إلى قبائل العرب المرتدة** ليزيد المطّلعون عليه إيمانا وبصيرة بصلابة الصدّيق في ترويج شعائر الله والذبِّ عن جميع ما سَنَّه رسول الله ﷺ:

"بسم الله الرحمن الرحيم

مِن أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامّة وخاصّة، أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم اللهَ الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، نقرّ بما جاء به ،ونُكفّر مَن أبى ونجاهده.

أمّا بعد، فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، لينذر من كان حيًّا ويحِقَّ القول على الكافرين. فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها. ثم توفي رسول الله ﷺ وقد نفّذ لأمر الله ونصح لأُمّته وقضى الذي كان عليه. وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [1]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ

الْخَالِدُونَ﴾ [2]، وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [3]، فمَن كان إنما يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له، فإن الله له بالمرصاد. حيٌّ قيّومٌ، لا يموت، ولا تأخذه سِنَة ولا نوم، حافظٌ لأمره، منتقم مِن عدوّه يجزيه.

وإني أوصيكم بتقوى الله وحظّكم ونصيبكم من الله وما جاءكم به نبيّكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافِه لمبتلى، وكل من لم يُعِنْه مخذول. فمن هداه الله كان مهتديا، ومن أضلّه كان ضالا، قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُّضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [4]، ولم يُقبَل منه في الدنيا عمل حتى يقرّ به، ولم يُقبَل منه في الآخرة صرف ولا عدل.

وقد بلغني رجوع مَن رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمِل به اغترارًا بالله وجهالةً بأمره وإجابةً للشيطان. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظالِمِينَ بَدَلاً﴾،[5] وقال: ﴿إِن الشيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتّخِذَوهُ عَدُوًّا إِنّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [6].

وإني بعثتُ إليكم فلانا من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرتُه أن لا يُقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرّ وكفَّ وعمل صالحًا قَبِلَ منه وأعانه عليه، ومن أبَى أمرتُ أن يُقاتله على ذلك، ثم لا يُبقي على أحد منهم قدِر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل مِن أحد إلا الإسلام. فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يُعجز اللهَ. وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم. والداعية الأذان، وإذا أَذّن المسلمون فأذّنوا، كُفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجِلوهم، وإذا أذّنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجِلوهم وإن أقرّوا قُبِلَ منهم.

==========================

[1] (الزمر: ٣١) [2] (الأنبياء: ٣٥) [3] (آل عمران: ١٤٥) [4] (الكهف: ١٨) [5] (الكهف: ٥١) [6] (فاطر: ٧)

وشابَــهَهُ الفاروق في كل خطّةٍ وساسَ البــرايا كالمليك المدبّرِ
سعى سَعْيَ إخلاص فظهرتْ عزّة وشأنٌ عظيم للخلافة فانظُــرِ
وصبّغ وجهَ الأرض مِن قتلِ كفرة فيا عجــبًا مِــن عزمه المتشمِّرِ
وصار ذُكاءً كوكبٌ في وقتــهِ فــواهًا له ولوقتــه المتطهِّــرِ
وبارَى ملوكَ الكفر في كل معرَكٍ وأهــلكَ كلَّ مبارز متكبّرِ
أرى آية عظــمى بأيدٍ قــويةٍ فــواهًا لهذا العبــقريّ المظفّرِ
إمــامُ أناسٍ في بِجــادٍ مرقَّعٍ مليــكُ ديار في كساء مغبَّرِ
وأُعطــيَ أنوارا فصارَ محدَّثًا وكلَّــمه الــرحمن كالمتخيّرِ
مآثــره مملــوّة في دفــاترٍ فضــائلــه أجلى كبدرٍ أنورِ
فــواهًا له ولسعــيه ولجهدهِ وكان لدين محمد خيرَ مِغفَرِ
وفي وقته أفــراسُ خيلِ محمّدٍ أثــرنَ غبارا في بلاد التنصّرِ
وكسَّر كسرى عسكرُ الدين شوكةً فلم يبق منهم غيرُ صُور التصوّرِ
وكان بشوكته سليمــانَ وقتهِ وجُعلتْ له جِنٌّ العِدا كالمسخَّرِ
رأيتُ جلالــة شأنه فذكــرتُهُ وما أمدحُ المخلوق إلا لجوهرِ
وما إنْ أخاف الخَلقَ عند نصاحة وإن المرارة يلــزَمَنْ قولَ مُنذِرِ
فلما أجازت حُلَلُ قولي لُدونةً وغــارت دقائقُه كبئرٍ مقعَّرِ
فأفتــوا جميعا أنّ كفرك ثابتٌ وقتلك عملٌ صالح للمــكفِّرِ
لقد زيّنَ الشيطانُ أوهامَهم لهم فتركوا الصلاحَ لأجل غيٍّ مُدْخِرِ

وقد مسخَ القهّارُ صورَ قلوبهم وفقدوا من الأهواء قلبَ التدبُّرِ
وما بقيتْ في طينهم ريحُ عفّةٍ فــذَرْهم يسبّوا كلَ بَرٍّ موقَّرِ
وقد كُفِّرَتْ قبلي صحابةُ سيّدي وقد جاءك الأخبارُ من كل مُخْبِرِ
يُسِــرّون إيذائي لجــبن قلوبهم وما إنْ أرى فيهم خصيمًا ينبري
يفرّون مني كالثعالب خشــيةً يخافون أسيافي ورمحي وخنجري
ومنهم حِراصٌ للنضال عداوةً غلاظٌ شدادٌ لو يطيقون عسكري
قد استترتْ أنوارُهم من تعصّبٍ وإني أراهم كالدَّمال المــعَفَّرِ
فأعرضْنا عنهم وعن أرجائهم كأنّا دفــنّاهم بقــبرٍ مقَــعَّرِ
ووالله إنا لا نخاف شــرورَهم نقلنا وَضِيئــتَنا إلى بيتِ أقدرِ
وما إن أخاف الخَلق في حكم خالقي وقد خَوَّفوا واللهُ كهفي ومَأْزَرِي
وإن المهيمن يعلَمَنْ كلّ مُضْمَري فدَعْني وربي يا خصيمي ومُكْفِري
ولو كنتُ مفتريا كذوبا لضَــرَّني عداوةُ قومٍ جرَّدوا كلّ خنجرِ
بوجه المهيمن لستُ رجلا كافرا وإن المهيمن يعلَمَنْ كلّ مُضْمَري
ولستُ بكــذّاب وربّيَ شاهدٌ ويعلمُ ربي كلَّ ما في تصوُّري
وأُعطِيتُ أســرارا فلا يعرفونها وللناس آراءٌ بقــدْرِ التبصُّــر
فسبحانَ ربِّ العرش عمّا تقوَّلوا عليه بأقوال الضلال كمُفتَري
وما أنا إلا مسلــمٌ تابعُ الهدى فيا صاحِ لا تَعجَلْ هوًى وتَدَبَّرِ
ولكنْ علومي قد بدا لُبُّ لُــبِّها لِما رَدِفَتْها ظُفْرُ كَشْفٍ مقَشِّرِ
لقد ضلّ سعْــيًا مَن أتاني مخالفًا وربي معي واللهُ حِبِّي ومُوثِري

ويعلو أولو الطغوى بأوّل أمرِهم وأهلُ السعادة في الزمان المؤَخَّرِ
ولو كنتَ من أهل المعارف والهدى لصــدَّقْتَ أقوالي بغير تحـيُّرِ
ولو جئتَني من خوفِ ربٍّ محاسِبٍ لأصبَحْتَ في نعمائه المستَكثَرِ
ألا لا تُضِعْ وقتَ الإنابة والهُدَى صُدودُك ســمٌّ يا قليلَ التفكّرِ
وإن كنت تزعمُ صبرَ جسمِك في اللّظى فجــرِّبْهُ تمرينًا بحرْقٍ مسَــعِّرِ
وما لك لا تبــغي المعالِجَ خائفًا وإنك في داءٍ عُضالٍ كمُحصَرِ
فيا أيها المُرخــي عِنانَ تعصّبٍ خَفِ اللهَ واقبَلْ تُحْفَ وعظِ المذكِّرِ
وخَفْ نارَ يومٍ لا يَرُدُّ عذابَــها تدَلُّلُ شيــخٍ أو تظاهُرُ مَعْشرِ
سئِمنا تكاليفَ التــطاول مِن عِدا تمادتْ ليالي الجَور يا ربِّ فَانْصُرِ
وأنتَ رحيم ذو حــنان ورحمةٍ فنَــجِّ عبادَك من وبالٍ مدمِّرِ
رأيتُ الخطــايا في أمور كثيرةٍ وإسرافَنا فاغــفِرْ وأيِّدْ وعَزِّرِ
وأنتَ كريمُ الوجهِ مَولى مُجامِلٌ فلا تطرُدِ الغلمانَ بعد التخيُّرِ
وجئناك كالموتى فأَحْيِ أمورَنا ونستغفِرَنْك مستغيثين فَاغْفِرِ
إلى أيِّ باب يا إلهــي تَــرُدُّني أتتركُني في كفِّ خصمٍ مُخسِّرِ
إلهي فدَتْك النفسُ أنت مقاصدي تعالَ بفضــلٍ من لدُنْك وبَشِّرِ
أأعــرضتَ عنّي لا تكلّمُ رحمةً وقد كنتَ من قبلِ المصائبِ مُخبِري
وكيف أظنُّ زوالَ حُبِّك طُرفةً ويَأْطِــرُ قلبي حبُّك المتَكــثِّرِ
وجدتُ السّعادة كلَّها في إطاعةٍ فوَفِّقْ لآخَرَ من خلوصٍ ويَسِّرِ
إلهي بوجهك أَدْرِكِ العبدَ رحمةً تعالَ إلى عبدٍ ذليــلٍ مُكــفَّرِ

وَمِن قبل هذا كنتَ تسمع دعوتي — وقد كنتَ في المضمار تُرسي ومأْزَري
إلهي أَغِـثْني يا إلهي أَمِـدَّني — وبَشِّرْ بمقصودي حنانًا وخَبِّرِ
أَرِني بنورك يا ملاذي ومَلجَئي — نعوذ بوجهك من ظلامٍ مُدَعْـثِرِ
وخُذْ رَبِّ مَن عادَى الصلاحَ ومفسدًا — ونَـزِّلْ عليه الرِّجْزَ حقًّا ودَمِّرِ
وكُنْ ربِّ حنّانًا كما كنتَ دائمًا — وإن كنتُ قد غادرتُ عهدًا فذَكِّرِ
وإنّك مولى راحمٌ ذو كرامةٍ — فبَعِّدْ عنِ الغلمان يومَ التشوُّرِ
أرى ليلـةً ليلاءَ ذاتَ مخـافةٍ — فَهَـنِّئْ وبَشِّـرْنا بيومٍ عبقري
وفَرِّجْ كُروبي يا كريمي ونَجِّني — ومَزِّقْ خصيمي يا إلهي وعَفِّرِ
وليستْ عليك رموزُ أمري بغُمّةٍ — وتعرفُ مستوري وتدري مقَعَّري
زلالُك مطلوبٌ فأَخْرِجْ عُيونَه — جلالُك مقصودٌ فأيِّدْ وأَظْـهِرِ
وجدناك رحمانًا فما الهَمُّ بعدَهُ — نعوذ بنورك من زمانٍ مُكـوّرِ
وآخر دعوانا أنِ الحمدُ كلُّـهُ — لربٍّ كـريمٍ قـادرٍ وميَـسِّرِ

من المؤلف

إنّ الصحابةَ كلَّهم كذُكاءِ ... قد نَوّروا وجهَ الورى بضياءِ
تركوا أقاربَهم وحُبَّ عِيالهم ... جاءوا رسولَ الله كالفقراءِ
ذُبِحُوا وما خافوا الورى مِن صدقهم ... بل آثروا الرحمان عند بلاءِ
تحت السيوف تَشهّدوا لخلوصهم ... شَهِدوا بصدق القلب في الأمْلاءِ
حضروا المواطنَ كلَّها مِن صدقهم ... حفَدوا لها في حَرَّةٍ رَجْلاءِ
الصالحون الخاشعون لربهم ... البايِتون بذكره وبكاءِ
قومٌ كِرامٌ لا نُفرِّقُ بينهم ... كانوا لخير الرسل كالأعضاءِ
ما كان طعنُ الناس فيهم صادقًا ... بل حَشْنَةٌ نشأَتْ مِن الأهواءِ
إني أرى صَحْبَ الرسول جميعَهم ... عندَ المليكِ بعزَّةٍ قَعْسَاءِ
تَبِعوا الرسول برَحْلهِ وثَواءِ ... صاروا بِسُبلِ حبيبِهم كعَفاءِ
نهضوا لنصر نبينا بوفاءٍ ... عند الضلال وفتنةٍ صمَّاءِ
وتخيَّروا لله كلَّ مصيبةٍ ... وتهلَّلوا بالقتل والإجلاءِ
أنوارُهم فاقَتْ بيانَ مبيِّنٍ ... يسوَدُّ منها وجهُ ذي الشحناءِ
فانظُرْ إلى خِدماتهم وثَباتهم ... ودَعِ الْعِدا في غُصَّةٍ وصَلاءِ
يا ربِّ فارحَمْنا بصَحْبِ نبيِّنا ... واغفِرْ وأنتَ اللهُ ذو آلاءِ
والله يعلَم لو قدرتُ ولم أمُتْ ... لَأَشَعْتُ مدحَ الصَحْبِ في الأعداءِ
إنْ كنتَ تلعَنهم وتضحَك خِسَّةً ... فارقُبْ لنفسك كلَّ اِسْتِهزاءِ
مَن سبَّ أصحابَ النبيّ فقد رَدَى ... حقٌّ فما في الحقّ مِن إخفاءِ

الوصيّــة

إنّ من المشهود أن القدح يوجب القدح، والمدح يوجب المدح. فإنك إذا قلتَ لرجل إنّ أباك رجل شريف صالح، فلن يقول لأبيك إنه شرير طالح، بل يرضيك بكلام زكّاه، ويمدح أباك كمثل مَدْحٍ مدحتَ به أباه، بل يذكره بأصفاه وأعلاه، وأما إذا شتمتَ فيكلّم كما كلّمْتَ. فكذلك الذين يسبّون الصدّيق والفاروق، فإنما هم يسّبون عليًّا ويؤذونه ويُضيعون الحقوق. فإنك إذا قلتَ إن أبا بكر كافر، فقد هيّجتَ محبَّ الصدّيق الأكبر لأن يقول إنّ عليًّا أكفرُ؛ فما شتمتَ الصدّيق، بل شتمتَ عليًّا وجاوزتَ الطريق. وإنك لا تسبّ أبا أحد لئلا يسبّوا أباك، وكذلك لا تشتم أُمَّ مَن عاداك، ولكن لا تبالي عزّةَ بيت النبوة، ولا تعصمهم من سوء هذه السلسلة، ولا تنظر إلى فساد النتيجة مع دعاوي التشيع وتصلُّف المحبّة، فكل ذنب السبّ على عنقك يا عدو آل رسول الله والخمسة المطهرة ومتطبعا بطباع المنافقين.

إعلان[١]

لاطلاع عامة الناس

إن جميع الناس الذين قرأوا أعداد المجلة التي يُصدرها الشيخ محمد حسين البطالوي بعنوان: "إشاعة السُنَّة"، أو قرأوا رسائله، يمكنهم أن يشهدوا على ما استخدم الشيخ المذكور من كلمات بحقي، وعلى نوعية ما خرج من لسانه من ترهات مليئة بالعُجب وزاخرة بالتكبّر، بحيث عدّني من ناحية كذابا ومفتريا ومن ناحية أخرى ادّعى بكل قوة وإصرار أنه شيخ من الدرجة العليا وقال عني إن هذا الشخص جاهل تماما ومحروم من علم اللغة العربية. ولعله قصد من هذا الهذيان أن يؤثر كلامه في عامة الناس فيعُدّوه عالما فريدا وعالي الكعب في اللغة العربية ويوقنوا بأني وأصحابي جهلاء، ولتكون النتيجة أنه لا يمكن الثقة بالجهلاء؛ وبأن شهادة الذين هم المشايخ في الواقع هي الجديرة بالثقة. لقد أسمعت هذا المسكين في جلسة حاشدة في لاهور إلهاما نصه: "إني مهين مَن أراد إهانتك" ولكنه كان سباقا في العناد لدرجة أن هذا الصوت الإلهامي لم يصل إلى أذنيه. بل أراد أن يترسخ في قلوب الناس أن هذا الشخص لا يعرف ولا كلمة واحدة من اللغة العربية. ولكن الله تعالى ردّ عليه كلامه المذكور. وهذا ما ورد في

[١] من هنا إلى صفحة ١٢٦ ترجمة عربية للنص الأردي الموجود في هذا الكتاب. (الناشر)

إلهام: "إني مهين من أراد إهانتك". سبحان الله! كيف أن ذلك الإله القادر هو معين المساكين، ومع ذلك الناسُ لا يخافون. أليست هذه آية من الله أن الذي قيل عنه إنه جاهل ولا يعرف من العربية صيغة واحدة، يتحدى مكفريه جميعا بصوت عالٍ – ومنهم الذين يسمون أنفسهم مشايخ – أن يأتوا بتفسيرهم مقابل تفسيره وينالوا ألف روبية على سبيل الجائزة، ويؤلفوا مقابل كتابي "نور الحق" ويطلبوا مني إيداع خمسة آلاف روبية سلفا، ولكن لا ينبس أيّ شيخ ببنت شفة. هل هذه هي المشيخة التي كفّروني اعتمادا عليها؟ أيها الشيخّ! ترى هل تحقق ذلك الإلهام أو بقي في تحققه شك؟ يشهد خلق كثير أني ألّفتُ بالعربية كتاب "كرامات الصادقين" وبعده ألّفتُ بالعربية كتاب "نور الحق" بنية الحُكم والفصل، ولكي تتبين للناس حقيقة مشيخة الشيخ البطالوي وفتاواه ، وأعلنت بكل صراحة أنه إذا ألّف الشيخ المذكور أو أحد من المشايخ المكفرين كتابا مقابل كتابي "كرامات الصادقين" سيُعطى ألف روبية جائزة، وإذا ألّف كتابا مقابل كتابي "نور الحق" سيُعطى خمسة آلاف روبية على سبيل الجائزة. ولكنهم عجزوا جميعا عن كتابة شيء مقابل الكتابين المذكورين. وقد مضى اليوم الذي حددناه لهذا الطلب أي نهاية شهر حزيران/يونيو ١٨٩٤م. وثبت بصمت الشيخ المذكور أنه بنفسه محروم من علم اللغة العربية ولا حظ له في هذا المجال. وليس ذلك فحسب بل ثبت أيضا أنه كذاب وعديم الحياء من الدرجة الأولى؛ لأنه كان قد أعلن عني بكل صراحة قولا وكتابة أن هذا الشخص محروم من معرفة اللغة العربية

ويجهلها أي لا يعرف ولا كلمة واحدة منها. فلماذا لزموا الصمت – كأنهم ليسوا موجودين في هذا العالم– في هذه المبارزة التي وجب عليهم من خلالها أن يثبتوا علوّ كعبهم علميا. يجب الانتباه إلى مدى تأكيد دعوتنا لهم وبأية كلمات أثرنا غيرتهم ولكنهم لم ينتبهوا إلى هذا الأمر أدنى انتباه. لقد نشرتُ إعلانا في كتابي "نور الحق" واضعا في الحسبان أن يتحقق الحكم والفصل في مدى معرفة الشيخ المذكور للغة العربية، وقلتُ إنه لو ألّف الشيخ كتابا بقدر كتاب "نور الحق" على أن ينشره في غضون ثلاثة أشهر، وكان مؤلَّفه مثيلا حقيقيا لكتابي نور الحق في جميع لوازم البلاغة والفصاحة والالتزام بالحق والحكم لأُعطي الشيخ ثلاثة آلاف روبية نقدا كجائزة، كما سيجد طريقا سهلا وواضحا لتكذيب الإلهام وسيجتنب وصمة ألف لعنة أيضا. وإلا لن يُعدّ مغلوبا فحسب، بل يكون مصداق الإلهام أيضا. ولكن الشيخ لم يبال بأي من هذه الأمور ولم يبدِ أدنى غيرة. فماذا كان السبب وراء ذلك يا تُرى؟ لم يكن السبب إلا أن هذه المبارزة تفوق قدرة الشيخ، فآثر قبول الخزي قصدا أو بغير قصد، ولم يتوجه إلى المبارزة. وهذا كان تصديق إلهام نصه: "إني مهين من أراد إهانتك"؛ أن الشيخ المذكور قال عني فوق المنابر أمام مئات الناس وبمئات المناسبات بأن هذا الشخص يجهل اللغة العربية والعلوم الدينية تماما وهو شخص جاهل وكذاب ودجال. ثم لم يكتف بذلك فحسب بل بعث إلى أصدقائه مئات الرسائل بهذا المضمون ونشر مقالات بهذا المضمون في عدة أماكن ورسخ في قلوب أصدقائه أن هذا هو الحق.

فأراد الله أن يمزق كِبره تمزيقا ويلوي عنق هذا المتمرد وأن يُريه كيف ينصر عباده. فقد أُلِّفت هذه الكتب بتوفيق من الله تعالى ونصرته وتعليمه وتفهيمه الخاص. وكنتُ قد حددتُ نهاية شهر حزيران/يونيو ١٨٩٤م كآخر موعد لمبارزة هذا الشيخ وغيره من المعاندين جميعا لتأليف كتاب مثل كرامات الصادقين ونور الحق، ولكن مضى ذلك التاريخ. أما الآن فقد ألّفتُ بعد الكتابين المذكورين هذا الكتاب "سر الخلافة" وهو كتاب وجيز جدا وفيه قصيدة أيضا وجيزة، بحيث يمكن لمن لديه إلمام بالعربية أن يؤلف كتابا مثله في أسبوع بكل سهولة، ثم تكفي عشرة أيام للطباعة. ولكني أزيد في المدة المذكورة عشرة أيام أخرى ترحما بضحالة علم الشيخ المذكور وأصدقائه. وهكذا فقد صارت المدة ٢٧ يوما. وأنشر هذا الكتاب مقرونا بجائزة ٢٧ روبية بحساب روبية واحدة لكل يوم، ونلتمس من الشيخ المذكور والمشايخ أمثاله أنهم لو حُرموا لسوء حظهم من نوال جائزة ألف روبية، ثم عرضنا عليهم جائزة خمسة آلاف روبية ولكن أفلتت تلك الفرصة أيضا من يدهم بسبب ضحالة علمهم، ومضى التاريخ المحدد، فعليهم ألا يتركوا الـــــ ٢٧ روبية تفلت من أيديهم. لقد سمعـــتُ أن الشيخ يواجه في هذه الأيام مصاعب جمة لضيق ذات اليد، ولم يساعده أصدقاؤه غير المخلصين، لذا فإن روبية واحدة بمنـــزلة دينار له في هذه الأيام[١] فكأن ٢٧ روبية هي ٢٧ دينارا ويمكن أن تُسَدّ بها

[١] لقد اعترف الشيخ في مجلته الصادرة مؤخرا أنه لو لم يسانده أصدقاؤه الآن أيضا لاستقال من هذه الوظيفة. منه.

كثير من حاجاته. وأقرّ بصدق القلب بأنه لو نشر الشيخ المحترم كتابا في المدة المحددة مقابل كتاب "سر الخلافة" وكان كتابه مثيلا تماما لكتابي لن أدفع له ٢٧ روبية فقط بل سأكتب له إقرارا خطيا أيضا أن الشيخ ذو كعب عال في العربية ويستحق أن يُسمى شيخا، بل سأدعوه في المستقبل بهذا الاسم. ويجب ألا تهبط همّة الشيخ هذه المرة لأن الكتاب المذكور ليس أكثر من كتاب وجيز جدا. ولو أنه كتب قسما واحدا كل يوم لأكمله في غضون أربعة أو خمسة أيام. وإن لم يجد في نفسه قوة لهذا الغرض فليستعن بمئة وخمسين شيخا؛ أولئك الذين كفّروا المسلمين بغير تأمل وتدبر وعدُّوهم يستحقون جهنم الأبدية وسمّوا أنفسهم مشايخ بكل استكبار. فلو كتب كل واحد منهم قسما واحدا للشيخ المذكور لاستطاع أن ينشر مقابل كتابي هذا كتابا يتكون من مئة وخمسين قسما. ولكن لو لم يفعل الشيخ هذا أيضا لكان مخجلا جدا أن يسمي نفسه شيخا في المستقبل. بل من الأنسب أن يجتنب قول الزور وطلبَ قول الزور من أشياعه. يكفيك لقب الشيخ الذي ورثته كابرا عن كابر أو تكون تسمية "منشي"[1] مناسبة جدا. ولكن مما يجدر بالفحص والاختبار هل أنت "منشي"

[1] المنشي هو لقب في القارة الهندي لمن هو دون المولوي الذي هو الشيخ الذي يجب أن يكون متقنا للغة العربية إتقانا تاما وقادرا على الكتابة والتأليف والخطابة والوعظ بها. أما المنشي فهو شيخ قادر على كتابة أشياء بسيطة، أي يستطيع الإنشاء إلى حد ما، ولكنه ليس شيخا عالما لديه إلمام بعلوم الدين ولا قادرا على الاستنباط والحكم والفصل في القضايا الدينية. (المترجم)

أيضا أم لا؟ لأنه من الضروري للمنشي أن تكون لديه قدرة تامة على نظم القصائد بالفارسية ولكن لم أر إلى الآن مجموعة قصائدك الشعرية بالفارسية.

ولو قبلنا وافترضنا جدلا كونك منشئا لطفا بك وشفقة عليك، مع أنك لا تحمل كفاءات المنشئين فلا ضير في ذلك لأنه لا علاقة لموهبة الإنشاء مع ديننا. ولكن لا يمكننا أن نخلع لقب المولوي على الجهلاء الذين نعرض عليهم جائزة خمسة آلاف روبية ومع ذلك لا تظهر في روحهم الميتة أدنى قوة للمبارزة! ونجعل لهم ألف لعنة ومع ذلك لا تثور غيرتهم! ونسمح لهم أن يستعينوا بالعالم كله ومع ذلك لا يقبلون ذلك ولو رسميا! إذا أُعطي هؤلاء الناس لقب "مولوي" فهل يملكون كفاءة غير تكفير المسلمين؟ كلا!. يقرأون بضعة أحاديث ويطلقون على أنفسهم "شيخ الكل"، نعوذ بالله من فتن هذا الدهر وأهلها ونعوذ بالله من جهلات الجاهلين.

فليكن واضحا أيضا أن كل عدو عنده شيء من الحياء فإنه يتوقف في عداوته عند حد معين، ويستحي من الكذبات التي لا حقيقة لها، ولكن من المؤسف حقا أن الشيخ المذكور لم يستخدم قط الحياء الذي هو ميزة الإنسان، إلا أنه استخدم جميع وسائل الإيذاء التي خطرت بباله ولم يدّخر في هذا الشأن جُهدا. أولا هيج الناس قائلا بأن هذا الشخص كافر ودجال، فاجتنبوا لقاءه، وآذوه بقدر ما استطعتم، وعذّبوه بصبّ كل ظلم عليه فإن هذا مدعاة للثواب. وعندما خاب في هذه الخطة اخترع لتحريض الحكومة

الإنجليزية أنواع الكذبات وألوان المفتريات. ولكن هذه الحكومة حكيمة وتعرف حقيقة الناس ولا تحذو حذو السيخ؛ فلا تحتدّ وتشتعل بسماع كلمة واحدة من لسان عدوٍّ بل تستخدم عقلا أعطاها الله إياه. فلم تهتم الحكومة الحكيمة بكتابات هذا الشخص. وأنى لها أن تفعل، فقد كانت تعرف أن العدو المغرّض يشي وشاية كاذبة نتيجة ثورة النفس. كانت الحكومة تعرف ببصيرة كاملة عن كون عائلة هذا العبد الضعيف ناصحة أمينة، وكانت تعرف جيدا أن هذا العبد ينشر منذ ١٤ عاما مقالات بالتكرار على النقيض من هؤلاء المشايخ كلهم، وأقول فيها إنه واجب علينا نحن رعية الحكومة البريطانية بحسب أمر الله ورسوله أن نعيش مطيعين لها، وإن التمرد حرام، وإن الذي يختار طريق التمرد أو يضع أساس الفساد أو يشترك في جماعة مناهضة للدولة أو يعمل ضدها أعمالا سرية فهو يعصي الله ورسوله، وإن كل ما كتبتُه في كتبي عن كوني ناصحا أمينا للحكومة الإنجليزية كله صدق وحق. المشايخ الجهلة لا يعرفون أن للجهاد شروطا، وأن عيث الفساد والنهب والسلب ليس جهادا، وجهاد الرعية ضد حكومتهم التي تحميهم لا يصح بأي حال. والله تعالى لا يحب أن تحمي الحكومة نفوس رعيتها وأموالهم وشرفهم وتعطيهم حرية تامة للعبادة بحسب دينهم، ثم تستعد الرعية لقتال تلك الحكومة عند سنوح الفرصة. فهذا ليس دينا بل هو إلحاد، وليس عملا صالحا بل هو فساد. رحم الله حالة المسلمين الذين لا يفهمون هذه المسألة ويعيشون في ظل هذه الحكومة عيشة النفاق،

إن هذا السلوك بعيد عن الأمانة والدين أيما بُعد. لقد قرأت القرآن الكريم كله بالتدبر و لم أجد فيه تعليم السيئة مقابل الحسنة قط. صحيح أن أهل هذه الحكومة مخطئون جدا بشأن الدين إذ يتخذون إنسانا إلها في عصر التنوير هذا ويخلعون على شخص عاجز ومسكين لقب رب العالمين. ولكنهم في هذه الحالة أجدر بالرحمة ويحتاجون الإرشاد إلى الصراط المستقيم لأنهم نسوه تماما وابتعدوا عنه. فيجب علينا أن نذكر إحسانهم وندعو الله تعالى أن اهدهم أيها الإله القادر ذو الجلال، واشرح صدورهم لقبول التوحيد المقدس واصرفها إلى الحق ليعرفوا رسولك الصادق والكامل وكتابه، وليكون الإسلام دينهم. صحيح أن فتن القساوسة قد تجاوزت الحدود وأن حكومتهم الدينية تثير ضجة كبيرة، ولكن فتنهم ليست فتن السيف بل هي فتن القلم. فيا أيها المسلمون عليكم أن تتصدوا لهم بالقلم ولا تتجاوزوا الحدود. إن مشيئة الله تعالى مذكورة بكل صراحة في القرآن الكريم أن القلم بالقلم والسيف بالسيف. ولكن لم نسمع في أي مكان قط[١] أن قسيسا رفع السيف أيضا من أجل الدين. وإن حمل السيف في هذه الحالة لهو نبذ للقرآن الكريم بل هو انحراف عن الصراط وتمرد ضد هدي الله. والذين لم تبق فيهم الروحانية هم الذين يسلكون مثل هذه الخطوات، فهم يريدون أن يشبعوا أهدافهم النفسانية متخذين الإسلام عذرا لهم، عفا الله عنهم.

---

[١] أي في الهند في تلك الفترة. (المترجم)

قد يستاء من هذا التعليم المتحلّون بطبائع أفغانية، ولكن هدفنا هو بيان الحق ولا نهدف إلى إرضائهم. إن الاعتقاد الأكثر ضررا الذي يلحق بروحانية الإسلام بشكل كبير هو أن هؤلاء المشايخ كلهم ينتظرون مهديا يُغرق العالم كله في الدماء، وسيبدأ بالقتل فور خروجه. وقد اخترعوا لمسيحهم المفترَض علامات منها أنه سيقتل الكفار كلهم فور نزوله من السماء ولن يَسْلم إلا من أسلم. إن الناس بهذه الأفكار لا يمكن أن يكونوا ناصحين أمناء لأي قوم ، بل إن السفر معهم على انفراد أيضا مدعاة للخوف لعلهم يقتلون زميلهم حاسبين إياه كافرا، ولكنهم يجهلون كفرا يكنّونه في باطنهم.

ليكن معلوما أن اعتبار مثل هذه المسائل السخيفة جزءا من الإسلام واعتبارها تعليم القرآن - والعياذ بالله - هو استهزاء بالإسلام وإعطاء للمعارضين فرصة للسخرية. لا يجيز عقل أن يبدأ شخص بقتل الناس فور مجيئه وبغير إتمام الحجة، أو يترصد لدمار حكومة يعيش تحت ظلها. يبدو أن أرواح هؤلاء الناس قد مُسخت كليا، وسُلبت من بواطنهم خصال مواساة البشر كليا، أو لم يخلقها الخالق فيهم أصلا. ندعو الله تعالى أن يحفظنا من كل بلاء.

لا أدري إلى أي مدى سيشتعل هؤلاء الناس ببياني هذا، وكم سيكفرونني عابسين، ولكني لا أبالي بتكفيرهم، فإن أمر كل شخص مفوَّض إلى الله تعالى. لم أجد في أية آية تعليما بالقتل بغير إتمام الحجة. لقد صبر سيدنا ومولانا النبي ﷺ على جَور الكفار وظلمهم

إلى ١٣ عاما متتالية. لقد أُوذي كثيرا ولكنه لم ينبس ببنت شفة. قُتل كثير من أصحابه وأقاربه ولكنه لم يقاوم، وسُحق في رحى المظالم ولكنه لم يفعل شيئا سوى الصبر. ولما تجاوزت مظالم الكفار كل الحدود وأرادوا أن يقضوا على الإسلام بقتل الجميع عندها أوصل الله تعالى نبيه الحبيب إلى المدينة سالما غانما من أيدي هؤلاء الذئاب. لا يخزي الله القوم ما لم يتألم قلب عبده بشدة. ولكن من المؤسف أن الكفار لم يكتفوا بذلك بل لاحقوه للقتل وهاجموه عدة مرات وآذوا كل أنواع الإيذاء حتى استحقوا في نظر الله في نهاية المطاف نتيجة ذنوبهم الكثيرة أن ينـــزل عليهم العذاب. لو لم تصل جساراتهم إلى هذا الحد لما رفع النبي ﷺ السيف، ولكن الذين رفعوا السيف وصاروا في نظر الله وقحين وظالمين قُتلوا بالسيوف. باختصار، إذن، هذه هي كيفية جهاد النبي ﷺ التي لا يجهلها أهل العلم. وقد ذُكر في القرآن الكريم تعليمات أن أحسِنوا إلى الذين أحسنوا إليكم، وكونوا شاكرين لمن آوَوكم ولا تؤذوا الذين لا يؤذونكم. ولكن مؤسفة حقا حالة المشايخ المعاصرين الذين هم مستعدون للإساءة بدل الحسنة، ومجردون من الروحانية الإيمانية والرحمة الإنسانية. اللهم أصلح أمة محمد ﷺ، آمين.

إصرار الشيخ محمد حسين البطالوي على تكفيري رغم ثبوت تمسكي بعقيدة الإسلام ، وجائزة ٢٧ روبية للشيخ المذكور إذا ألّف ونشر كتابا مقابل "سر الخلافة".

يعلم الله أنني لم أخرج من الإسلام قيد ذرة، بل إنني قائم وثابت بقدر علمي ويقيني على كل ما ثبت من نصوص القرآن والحديث. وإنني متأسف جدا على الشيخ محمد حسين ومعارضيّ الآخرين لأنهم لم يكتفوا بتكفيري وعدّي دجالا فحسب بل قالوا إن عقوبتي هي الخلود في جهنم، بل نبذوا القرآن والحديث أيضا وراء ظهورهم. أقول مرارا وتكرارا إني لا أستطيع أن أقبل أمانيهم النفسانية وأخطاءهم وتقصيراتهم بأي حال، لكن إذا كان عندهم كلام حق واعتقاد يوافق كتاب الله والحديث، ويرونني أخالفه، على سبيل الافتراض المحال، فإني جاهز لقبوله دائما. لقد أريتُهم وأثبتّ لهم أن السياق العام بشأن كلمة "التوفي" في كتاب الله والمحاورة العامة في أحاديث رسول الله ﷺ والمحاورة العامة المستخدمة في كلام الصحابة ومحاورة قوم العرب كلهم منذ ذلك الوقت وإلى الآن تعطي معنى الإماتة وليس إلا.

وقد أثبتّ لهم أيضا أن معنى "التوفي" الذي ثبت عن رسول الله ﷺ يشير حصرا إلى أن عيسى عليه السلام قد مات. افتحوا صحيح البخاري وفكِّروا في حديث مفاده: أقول يوم القيامة كما قال العبد الصالح أي عيسى عليه السلام: "فلما توفيتني". ففكروا في قول رسول الله

ﷺ، ما أحسن هذا التفسير لكلمة "التوفي"، بحيث عدّ النبي ﷺ نفسه، بغير التغيير والتبديل، مصداق كلمة مختلف فيها كما كان عيسى عليه السلام مصداق الآية المذكورة آنفا. فهل يجوز لنا أن نقول بأن رسول الله ﷺ لم يكن مصداقا حقيقيا لـــ "فلما توفيتني"[١] بل كان عيسى عليه السلام هو المصداق الحقيقي لها؟ ونقول إن ما أراد الله في الحقيقة من هذه الآية، والمعنى الحقيقي الذي أراده الله تعالى هنا من كلمة التوفي وتقرر في علمه سبحانه وتعالى منذ القِدم أي الصعود إلى السماء حيا؟ وأنه لم يكن النبي ﷺ شريكا في ذلك المعنى المعين، والعياذ

---

[١] يقول البعض من قليلي الفهم إنه قد وردت في كلام النبي ﷺ كلمة "كما" وهي تدلّ على فرق بسيط، لذا هناك فرق بسيط بين توفّي النبي ﷺ وتوفي عيسى عليه السلام. ولكن من المؤسف حقا أن هؤلاء الجهلة لا يفكرون أنه إذا كان هناك فرق بسيط في أسلوب أحداث المشبَّه والمشبَّه به فإن ذلك لا يغير من اللغة شيئا. فمثلا إذا قال أحد: أكلت الخبز كما أكله زيدٌ، فسواء أكان هناك فرق بين كيفية أكل الخبز أو في جودته أو رداءته فهذا لن يغيّر في كلمة الخبز الذي له معنى معين، ولن يقال إن المراد من الخبز في مكان هو الخبز المعروف والمراد في مكان آخر هو الحجر. لا يجوز أدنى تصرف في اللغة، وإن قول النبي ﷺ المذكور هو من هذا القبيل كما نقله ابن تيمية* في كتابه "زاد المعاد" ونصه: "قال اي معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخٌ كريم وابن أخ كريم. قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء". (صفحة ٤١٥)
انظروا الآن أن كلمة "كما" وردت في قول النبي ﷺ بالمعنى نفسه الذي ورد فيه في قول يوسف عليه السلام. منه.

----

*هذا سهو، والصحيح أن الكتاب لابن القيم، المترجم)

بالله، بل غيّر النبي ﷺ وبدّل ذلك المعنى عند نسبته هذه الآية إلى نفسه، وأنه إذا نُسبت هذه الكلمة إلى النبي ﷺ يكون لها معنى وإذا نُسبت إلى المسيح عليه السلام سيؤخذ منها المعنى الحقيقي نفسه الذي أراده الله منذ القِدم؟

فإذا كان هذا حصرا هو الصدق، فإضافة إلى الفساد الصريح لكونه مستبعدا جدا من شأن أي نبي أن ينقض المعنى المقرر ويتصرف فيه حيث لا نستطيع أن نسميه بغير التحريف المعنوي، فإنه يترتب عليه فساد ثان هو أنه لا يستقيم اتحاد القول الذي قصَده النبيُّ ﷺ أي "فلما توفيتني". لأن الاتحاد كان يتحقق إذا كان النبي ﷺ شريكا لحضرة عيسى عليه السلام في معنى التوفي، لكن هذا الاشتراك لم يتيسر. ففي أي شيء حصل الاتحاد؟ أفلم يجد النبيُّ ﷺ كلمة أخرى حتى مدَّ يده بغير حق إلى اشتراك لم يكن له حق فيه بأي طريق. فأي اشتراك لمن دُفن في الأرض مع من رُفع إلى السماء حيًّا، في لفظ له معنى الإماتة أو الرفع حيًّا؟ فهل يجتمع الضدان في موضع؟ إن لم يكن معنى التوفي في "فلما توفيتني" هو الإماتةَ، فهل فقد الإمام البخاري صوابه إذ نَقل في صحيحه هنا تأييدا لهذا المعنى آيةً أخرى من سورة أخرى أي آية "إني متوفيك". ولم يكتف بذلك فقط بل قد ثبَّت فيه قول ابن عباس رضي الله عنه "متوفيك مميتك" أيضا، أي متوفيك يعني مميتك. وإن لم يكن قصدُ البخاري أن يوضِّح معنى قول النبي ﷺ أكثر بقول ابن عباس فما الذي أراد بجمع هاتين الآيتين وذكْرِ معنى ابن عباس في مكان واحد؟ وأي محل هذا حتى يبدأ بحث معنى

التوفي؟ فالإمام البخاري قد أعرب بهذه المسألة في الحقيقة عن موقفه. ففي هذا الموضع قد اجتمع لتأييد دعوانا ثلاثةُ أمور؛ أولها القولُ المبارك للنبي ﷺ أنه كما قال العبد الصالح أي عيسى عليه السلام "فلما توفيتني" سأقول أنا أيضا "فلما توفيتني". والثاني قول ابن عباس أن معنى التوفي الإماتة. والثالث شهادة الإمام البخاري التي تُستشف من كتابه.

الآن لاحظوا بالتفكر مليًّا هل نحن الذين تركنا الحديث والقرآن أم معارضونا، فهل أثبتوا هم أيضا معنى التوفي من كلام النبي ﷺ أو من قول أحد الصحابة كما أثبتنا. ومع ذلك إذا قدم معارضونا مقابل إثباتنا إثباتا آخر لمعنى التوفي أي إذا أرَونا حديثا آخر للنبي ﷺ لمعنى التوفي وقدموا -تأييدًا له- قول أي صحابي لمعنى التوفي، وقدموا لمعنى التوفي شهادة إمام الحديث مثل البخاري فنحن مستعدون لنقبل ذلك. أي شطارة هذه حيث يتركون القرآن والحديث بأنفسهم، ويتهموننا قائلين إن هذه الفرقة تركت القرآن والحديث. يا أيها المشايخ المعارضون، رحمكم الله تدبروا قليلا بإمعان، لتعرفوا أن من المؤكد والموثق أن معنى التوفي -الذي ثبت من النبي ﷺ والصحابة في محل متنازع فيه- ليس سوى الإماتة. فالذي يترك هذا المعنى المتحقق فهو يفسر القرآن بالرأي. لأنه لم يردْ في الحديث معنى آخر للتوفي في الآية المتنازع فيها سوى الإماتة. ولذلك أورد الشاه ولي الله في تفسيره "الفوز الكبير" -الذي ذَكر فيه أحاديث النبي ﷺ وأقوال الصحابة فقط- معنى متوفيك مميتك فقط. فلو وجد قولا معارضا له

لبيَّن ذلك المعنى أيضا باستخدام حرف "أو". الآن يجب أن يخجل معارضونا من كونهم تركوا النصوص الصريحة علنًا، فاتقوا الله أيها المتجاسرون. أفلن تموتوا يوما؟ لا تفتخروا بكلمة النزول، لأن النبي ﷺ لم يحدد هنا معنى كلمة النزول هذه. لأن للنزول معاني شتى، فالمسافر أيضا حين ينتقل من أرض إلى أخرى يسمى نزيلا حصرا. وذكر القرآن الكريم معاني مجازية أيضا للنزول، كما قال الله سبحانه وتعالى {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ} (الحديد ٢٥)،و{أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا} (الأعراف ٢٦)، و{وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ} (الزمر ٦). وقد تبين صراحة من قصة إيليا أي يوحنا التي يتفق عليها اليهود والنصارى وهي موجودة في الكتاب المقدس أن نزول الأنبياء المتوفَّين يكون في هذه الدنيا روحانيا لا ماديا. فهم لا ينزلون من السماء مطلقا، لكن خصالهم تنزل روحانيا بالتجلي في مثيل لهم بإذن الله، ويكون لإرادتهم ظلٌّ على مثيلهم، لذا يعدُّ ظهور ذلك المثيل نزولَ الممثل به، لقد ذكر بعض الأولياء أيضا هذا النوع من النزول في كتب التصوف. باختصار، هذا النوع أيضا من أنواع النزول وإن لم يُعتبر هذا نزولا فسوف تُعتبر كُتب الله باطلة. فقصة إيليا الموجودة في الكتاب المقدس هي واقعة مشهورة تسلِّم بها فرقتا اليهود النصارى كلتاهما، وإن قلنا إن كلتا هاتين الفرقتين بالتعاون قد حرفوا هذه الآيات فسيكون من كمال الحماقة. بل إن هذه القصة تلحق بالنصارى أضرارا بالغة. وإذا فسرنا في هذا الموضع نزول إيليا ظاهرا وحرفيا، فسوف يعدّ اليهود صادقين، وسيثبت أن المسيح عليه السلام لم يكن نبيا

صادقا لأن إيليا عليه السلام لم يترل إلى الآن من السماء وكان نزوله بمقتضى الكتاب المقدس ضروريا قبل بعثة المسيح عليه السلام، وكان المسيح قد واجه مشكلة عويصة؛ حيث اعترض اليهود على نبوته وكان اعتراضهم كالجبل. فلو كان الجواب صحيحا أن قصة نزول إيليا محرفة، لقال المسيح عليه السلام ذلك حصرا أمام اليهود، ولقال لهم إن اعتقاد مجيء إيليا إلى هذا العالم من جديد ونزوله من السماء بجسمه المادي حتما قبل المسيح كذبٌ. لكنه لم يقدم هذا الجواب، بل اعتبر الترول روحانيا باعتبار الآية صحيحة. وبناء على تلك التأويلات سمّاه اليهود ملحدا وأفتَوا بالإجماع بأن هذا الرجل ملحد وكافر لأنه يصرف نصوص التوراة عن معانيها الظاهرة بدون أي قرينة صارفة. ولا شك في أن عيسى عليه السلام إن قدم عذر التحريف وقال لليهود إن هذه المواضع من كتبكم قد حُرفت، فما كان ليلجم أفواه اليهود حتى بهذا الجواب، إلا أنهم كانوا سيخطر ببالهم بمشاهدة خوارقه ومعجزاته أن من المحتمل أن تكون دعوى التحريف هذه صادقة، لأن هذا الرجل مؤيد من الله وصاحب الوحي من الله، وصاحب المعجزات، إلا أن عيسى لم يفعل ذلك، بل قد أقر بصحة الآية عن إيليا. الأمر الذي بسببه يواجه المسيحيون إلى الآن مصيبة، ولا يستطيعون أن ينطقوا بكلمة أمام اليهود، واليهود يقولون لهم استهزاء إن عيسى لا يمكن أن يكون نبيا صادقا إلا إذا اعتبرنا جميع صحف الله كاذبةً، ولم تسنح للنصارى إلى الآن فرصةٌ ليقولوا إن هذه المواضع محرفة، لينجوا من هذا البلاء. وأنى لهم أن يخالفوا بعد

تسعة عشر قرنا هذا القول الذي صدر من لسان سيدنا عيسى عليه السلام! وهذا الموضع جدير بالتدبر العميق لإخوتنا المسلمين، ويجب عليهم أن يفكروا أن المعاني الحرفية التي يركزون عليها كثيرا، إذا كانت صادقة فلا يمكن أن يكون عيسى عليه السلام نبيا صادقا بحال من الأحوال، وإنما سيُعتبر نبيا صادقا حين يعدّ نزول إيليا روحانيا.

من المؤسف أن هؤلاء المشايخ والفقهاء قد بدأوا معي بعد مضي ١٨٩٠ سنة جدال اليهود نفسه. ويمكن أن يفهم طفل أن الموقف الذي اتخذتُه أنا العبد المتواضع هو موقف عيسى عليه السلام، أما الموقف الذي يتمسك به المشايخ فهو موقف اليهود. الآن لاحظوا نحوسة موقف المشايخ أنهم فور اتخاذه تحققت لهم المشابهة مع اليهود، ولكنهم إذا فهموا سيستدركون ولن يفوتهم شيءٌ. الآن حين لم نجد شيئا عن النزول المادي في هذه البحوث، ولم نعثر على نظيره في الصحف السابقة، وإنما وجدنا أن المراد من الوعد بمجيء إيليا النبي من جديد إلى هذا العالم كان هو النزول الروحاني فقط لا المادي. فثبت من هذه التحقيقات أنه كلما استخدمت كلمة النزول بحق أي إنسان منذ خلق العالم أي من آدم عليه السلام إلى هذه الساعة، فلا يكون المراد منه النزول المادي؛ ومن ادعى خلاف ذلك فعليه أن يثبت دعواه. وحين لم تُطلق هذه الكلمة على النزول المادي إلى الآن فكيف تطلق الآن خلاف سنة الله والتعبير القديم الموجود في كتبه؟ ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ثم نقول تنازلا أنه إذا لم يفهم أي غبي هذا القول الصريح

الواضح حتى الآن فإنه على الأقل يفهم أن لفظ التوفي في موضع متنازع فيه محكمٌ وبيِّن، وقد تحقق معناه وثبت قطعيا أن النبي ﷺ بيَّن أن معناه الإماتةَ حصرا. كما كتب ابن عباس رضي الله عنه أيضا أن معناه الإماتة، وأدلى الإمام البخاري أيضا بشهادته العملية أن معناه الإماتة حصرا. أما لفظ النزول مقابله فإذا قدم له أكبر المتعصبين تأويلاته فلا يسعه أكثر من القول إنه من المتشابهات، وإن الاندفاعُ إلى المتشابهات مع ترك اللفظ الذي صدر فيه الحكمُ ومعانيه البينةَ والمحكمةَ لَهو من عمل الذين في قلوبهم مرض. لو كان عندكم إيمان فتمسكوا باللفظ الذي هو من البينات والمحكمات لا بالذي ظل في المتشابهات، وفوِّضوا تأويل المتشابهات إلى علم الله لتنجُوا.

النزاع الأكبر الذي بيننا وبين خصومنا هو ما ذكرتُه حصرا، والمحصلة هي أننا نتمسك بالبينات والمحكمات التي ثبتت من القرآن والحديث وأقوالِ الصحابة ونظائر الكتب السابقة وسنة الله وقول الإمام البخاري وقول الإمام مالك وقول ابن القيم وقول ابن تيمية، ومعتقدِ بعض الفرق الإسلامية الأخرى، أما معارضونا فقد تمسكوا بلفظ النزول ذي الوجوه، الذي يُطلق بحسب القواميس والقرآن والصحف السابقة على معانٍ كثيرة، ولم يفسر النبيُّ ﷺ في أي موضع أن المراد منه نزول مادي للمسيح عليه السلام لا غير. لأنه إذا كانت إحدى الأمم السابقة تعتقد بنزول روحاني للأنبياء، بينما اليهودُ الذين كانوا يترقبون نزولا ماديا لإيليا قد ثبت خطؤهم بلسان المسيح عليه السلام ولم نعثر في أي مكان على سنة إلهية قد سبقت

في زمن سابق عن نزول مادي، فقد تعيَّن المعنى حصرا أن المراد من نزول عيسى عليه السلام هو النزول الروحاني فقط، وإلا لو كان النزول المادي أيضا من سنة الله فلماذا ابتلى الله اليهود بحيث إنهم إلى الآن مصابون بهذه الفكرة أن المسيح الصادق لن يأتي ما لم ينزل النبي إيليا من السماء، لأن الله سبحانه وتعالى كان قد وعد صراحة أن النبي إيليا سيعود من جديد إلى هذه الدنيا، وبعده سيأتي المسيح فكان يجب أن يُنجز هذا الوعد في الظاهر وينزل النبيَّ إيليا من السماء إلى الأرض بجسمه العنصري لكي يشاهد اليهود تحقق هذه النبوءة بحسب اعتقادهم، كما كانوا منذ مدة طويلة يزعمون عن معنى النبوءة وبحسب ما كان علماؤهم وفقهاؤهم قد أدخلوا في معتقداتهم نزول إيليا ماديا، ولما بقي عندهم أدنى شك في نبوة المسيح عليه السلام، لكن أي مصيبة واجهوها إذ كان قد قيل بكلمات واضحة وصريحة أن إيليا في الحقيقة سيأتي من جديد إلى هذا العالم وإنما المسيح الصادق مَن سيأتي بعد نزول إيليا. ثم لم تتحقق هذه النبوءةُ بمعناها الظاهري، وجاء المسيح عليه السلام وواجه أشد المصاعب أمام اليهود. وأخيرًا أصر على تأويل بعيد من الحقيقة الظاهرية، الأمر الذي دفع اليهود إلى القول بأن عيسى ليس مسيحا صادقا بل هو مكار وملحد يعتقد بنزول روحاني صارفا النبوءةَ الواضحة عن معناها الظاهر لمصلحته. وبسبب ذلك مات الملايين من الناس كافرين ومنكرين ودخلوا جهنم. أيها المسلمون اقرأوا هذا الموضع بشيء من التدبر، فقد شابه قولُكم قولَ اليهود واندمج القولان فصارا قولا واحدا. فاعلموا يقينا

أن من خصال المؤمن أنه يتعظ بغيره، فاعتبروا يا أولي الأبصار واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

وإن قلتم كيف نوقن أنها واقعة صحيحة، فجوابه أن هذه القضية تتعلق بمتواترات قومَين اثنين، ولا يُضعف هذه المتواترات القولُ بأن الكتب المحتوية عليها قد حُرّفت وبُدّلت، فقط كان سيضعفها تكذيب الله تعالى مثل هذا القول في القرآن الكريم، فما لم يثبت تكذيبه من الحديث والقرآن الكريم، لا يسعنا إنكار تلك المتواترات القولية[١]؛ بل لو افترضنا أن تلك الكتب لم تنزل من الله تعالى وإنما هي من تأليف الناس، فمع ذلك لا يسعنا محو السلسلة التاريخية، فإن الأمر الذي ثبت تاريخيًا من شهادة متفق عليها لقومين اثنين لا يمكن اعتباره ريبا وأمرا ظنيًا. ومثاله أننا لا نستطيع إنكار وجود رام تشندر، وكرشنا، وبكرما جيت، وبوذا، مع أننا لا نعدّ الكتب -التي ورد فيها ذكرهم- من الله تعالى، فلماذا لا نستطيع إنكارهم؟ إنه بسبب التواتر التاريخي.

بعض الناس من أشباه المشايخ قد وقعوا في هوة الجهل العجيب، فإنهم قد سمعوا كلمة واحدة وهي "التحريف" فيقدمونها في كل مناسبة سواء كانت في محلها أم في غيره، وتجاهلوا التواتر التاريخي، بل يريدون محو أثره. ومن المخجل جدًّا أن أناسًا من قومنا يُعرفون بلقب "الشيخ" ولكنهم لا يقبلون المتواترات القومية التي صارت في

[١] ملاحظة: إن اعتبار النبي ﷺ المسيح القادم من أمته يؤيد معنى النزول الروحاني، وهذا يوضح أن النبي ﷺ أراد النزول الروحاني لا غير. منه

عداد التاريخ، ويدخلون في التحريف جزئيات غير متعلقة به من دون مبرر. ولا يفكرون أنه لو كان اليهود قد قاموا بالتحريف لكان ذلك مخالفًا لمصالح النصارى، ولو قام النصارى بالتحريف لكان على عكس ادعاء اليهود، وعليه فإن الكلمات الواردة في كتب التوراة تضرّ بأهداف النصارى لأنها تثبت يقينًا نبأ نزول إيليا بجسده العنصري قبل السيد المسيح، فإن اتفاق النصارى مع اليهود في التحريف في هذه الصورة أشبه بالذي يجدع أنفه بيده، أو كمن يسعى إلى حتفه بظلفه. والسبب في ذلك أنه لو حملنا نبوءة نزول إيليا على الظاهر لكان من المحال إثبات كون عيسى نبيًّا صادقًا، لأنه لم يترل بعدُ إيليا النبي من السماء بجسمه العنصري، فكيف يسبقه عيسي الذي كان ضروريًا أن يأتي بعده. فإن لم يحملوا هذا على الظاهر ويعتبروا نزول إيليا روحانيًا، فلماذا يتشبثون بالظاهر في نبأ نزول عيسى؟ إن الترول حقّ ونحن نؤمن به، بل رأينا ظهور هذا الترول أيضا، ولكن -بعد تلقي الهداية- فإنه لا يقصد للترول تلك المعاني التي سمّي بها اليهود قردة وخنازير وملعونين في كتب الله تعالى إلا الذي يرغب في أن يصبح قردًا أو خترير‌ًا، أما المؤمنون فأعاذهم الله تعالى من مثل هذه المعاني التي تنذر باللعنة التي حلّت باليهود سابقًا. ماذا عسى أن نكتب أكثر في هذه القضية أو نقول؟ وكيف يمكن أن نهدي من لا يهديهم الله تعالى، وأنى لنا أن نفتح عيون الذين لا يفتح الله المالك عيونهم، وكيف نحيي الأموات ما لم يحيهم الله تعالى!! يا أيها المالك والقادر! مُنّ بالفضل وارحمْ، وارفع من

بيننا هذه الفرقة، وأظهرِ الحق ودمّر الكذب فإنك تملك كل القدرة والقوة والرحمة، آمين.. آمين.. آمين.

ثم بعد ذلك يجب أن يكون واضحًا أننا لا ننكر نزول الملائكة، فإن أثبت أحد أن الملائكة يترلون من السماء بحيث يخلون مكاهم فيها بترولهم، فسنسمع ذلك بكل شوق، وإن كان على ذلك دليل حقّ قبلناه. وكما نعلم أن وجود الملائكة من الإيمانيات. أما نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا ونزول الملائكة فإنهما حقيقتان لا يسعنا فهمهما، غير أن الذي يثبت من كتاب الله تعالى هو أن نزول الملائكة على الأرض يكون كخلق جديد، فهل كان ظهور جبريل في صورة دحية الكلبي خلقا جديدًا أم شيئا آخر؟ وهل من الضروري أن نقضي على الخلق الأول حتى نؤمن بالخلق الجديد؟ والحق أن الخلق الأول ثابت في السماء وقائم أما الخلق الآخر فهو نتيجة لقدرة الله الواسعة، فهل يستبعد من قدرات الله تعالى أن يري كائنًا في مكانين بجسمين اثنين، حاشا وكلا، ليس ببعيد ألبتة. ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير.

ثم إن الشيخ البطالوي قد أخرج من كتابنا التبليغ بعض الأخطاء على حد زعمه. ونكتب بكل أسف أنه بثورة تعصبه أو جهله قد أدخل التراكيب والكلمات الصحيحة المتداولة أيضا في الأخطاء. لو كان هناك مجلس خاص مختص بهذا الأمر لأفهمناه كم من ندامة يواجهها المرء نتيجة هذا التسرع. لقد ظهرت آثار القيامة، إذ إن هذا هو مبلغ علمه ومع ذلك يلقّب بالشيخ! إنا لله وإنا إليه

راجعون.

لو كُتبت الأخطاء التي أخرجها بجهد جهيد لكانت تشكل سطرًا أو سطرًا ونصف تقريبا، وأكثرها سهو الناسخ، وبقيت ثلاثة منها لعدم توفر إمكانية المراجعة أو لفلتة البصر، أما البقية فمرده قلة عقل الشيخ وقلة فهمه، وهذا يوضح أن الشيخ لم يتوجه إلى لسان العرب قط. كان ينبغي أن يلتزم الصمت ولا يتسبب في هتك ستر نفسه بنفسه أكثر. كنا نتمنى أن يُخرج الشيخ مقابل كتبنا كتابًا فصيحًا بليغًا محتويًا على النظم والنثر وينال منا جائزة ويجعلنا نقرّ بأنه الشيخ والضليع بالعربية حقيقة.

قد ذكرتُ عدة مرات أن هذه الكتب التي كتبتُها إنما كتبتها بتأييد من الله، لا أسميها وحيا وإلهاما ولكن أقول بالتأكيد إن تأييد الله الخاصَّ والخارقَ قد أخرج هذه الكتب من يدي. لقد نشرتُ عدة مرات أن الشيخ المذكور -الذي أعتقد أنه وقع في الخذلان وحُرم من علم اللغة العربية لسبب ما- إن كان صادقا لبارزني وبذلك أبطل جميع دعاواي ، ولكن لـــِم لا يتوجه إلى ذلك؟ وأي مصيبة تمنعه من ذلك؟! وهذه المصيبة ليست إلا أنه يجهل لغة العرب وأنه واقعٌ في حالة الخذلان في هذه الأيام. ولن يقدر على المبارزة، وذلك بسبب الإلهام نفسه الذي لا يزال يتحقق وهو "إِنِّيْ مُهِيْنٌ مَنْ أَرَادَ إِهَانَتَكَ"، وهذا محمد حسين نفسه الذي كان يقول عن هذا العبد المتواضع هنا وهناك إن هذا الرجل جاهل محض، ولا يعلم صيغة واحدة ناهيك عن لغة العرب، وكان يقول عن كبار الفضلاء

الذين هم معي بأنهم ليسوا إلا قليلي العلم. فأرادت غيرة الله تعالى أن تفضحه وتكسر تكبُّره وتُريه أن هذا ما يؤدي إليه الزهو والعجب. فأي إهانة أكبر من أن الشخص الذي كان الشيخ يحسبه جاهلا وكان يقول عنه على المنابر وفي المجالس مرارا وتكرارا بأنه لا يعلم اللغة العربية إطلاقا وأنه أجهل الناس، هو ذات الشخص الذي أخجل الله تعالى الشيخ وأذلّه على يده. وإذا لم تكن هذه آية فكان لزاما على محمد حسين أن يستعين بجميع أصدقائه ويكتبَ الرد على "نور الحق" و"كرامات الصادقين". ومع أنه وُعد بإعطاء جوائز كبيرة وحُذِّر من ألف لعنة لكنه لم يتوجه إلى ذلك. فهذه هي نتيجة المعارضة، فاتقوا الله يا أولي الأبصار.

واعلموا أن عذر الشيخ المذكور بأن التحدي في "نور الحق" وُجِّه إلى القساوسة أيضًا لذا فقد تجنّب تأليف الرد، إنما هو عذر ماكر، كأنه اخترع مبررا ليخلّص نفسه بطريقة ما، ولكن العقلاء يفهمون أن هذا المبرر ضعيف وسخيف للغاية، وهو تصرف مخزٍ، لأنني كنت كتبت أنه لن يعجز عن المبارزة إلا القساوسة واللادينيون، ولن يعجز عنها المسلمون الصادقون، فلو كان الشيخ قد كتب الردّ لزاد القساوسةَ ذلًّا ولقال الناسُ إن مسلما كتب كتابا وردّ عليه مسلمٌ بتأليف كتاب آخر، ولكن القساوسة لم يقدروا على كتابة شيء، وبالإضافة إلى ذلك لحصل على جائزة قدرها ثلاثة آلاف روبية، ولأثبت بطلان الإلهام ونال العزّ والشرف في القوم، ولزالت جميع شبهات بعض أصدقائه القدماء الذين يقولون لقد ثبت

أن محمد حسين يعلم الأردية لا العربية، ولكن الآن ما دام قد كف عن المبارزة فسيكون مما ينافي الحياء أن يسمّي هذه الجماعة جماعةَ قليلي العلم وهو نفسه يمتنع عن الأمور التي هي من الشروط الضرورية لمنصب المولوي. إن اعتقاد أولئك الناس الذين إلى الآن يحسبونه عالم العربية ويدْعونه باسم المولوي هو أمر عجيب . إنني من باب النصيحة أدعو هذا الشيخ للمرة الأخيرة لتأليف كتاب مقابل "سر الخلافة" بعد أن يئستُ من أن يتقدم لمبارزة كتبي السابقة. وأقول لقد قررتُ لك ميعاد ٢٧ يوما وجائزة قدرها ٢٧ روبية، وإنني جاهز لأودع هذا المبلغ عندك، وإذا طلبت هذا المبلغ و لم أرسله إليك فإنني كاذب، وأستطيع أن أرسل هذا المبلغ سلفا ولكن عليك أن تنشر هذا الإقرار بأنك ستؤلف كتابا بالمقابل في ٢٧ يوما. وإذا ألفتَه خلال هذه الفترة فلن تأخذ جائزة قدرها ٢٧ روبية فحسب، بل سوف ننشر إعلانا عامّا أننا كنا مخطئين إذ سميناك مجرد شيخ في كل هذه الفترة و لم ندعُك باسم المولوي محمد حسين، وأنك في الحقيقة فاضل كبير وأديب وجدير أن يُقبل ما تفهمه من معاني الحديث.

وهكذا فسترى مدى انتصارك في ذلك، وبعدها لن تحتاج لتحمّل الناس عناء جمع المال أو تستعد لتقديم الاستقالة من هذه الوظيفة، لأنك لو بارزتني لأبطلت إلهامي؛ ففي هذه الحالة لن يبقى لي شيء. فأستحلفك بالله أنك إذا كنت تعلم شيئا من اللغة العربية ولو ذرة منها فلا تُدِرْ ظهرك هذه المرة، وإذا ثبتت بعض الأخطاء

في كتابي هذا فسوف أعطيك روبية واحدة على كل خطأ يزيد على أخطاء كتابك الذي تكتبه في المقابل، وميعاد هذا الإقرار ٢٥ يوليو/تموز ١٨٩٤. إذا لم تطبع هذا الإعلان و لم ترسله لي حتى ٢٥ يوليو/تموز ١٨٩٤ بصورة إعلان فسيُحسب أنك قد هربت في هذه المرة أيضًا.

ويجب على المسلمين أن يؤاخذوا جيدًا هؤلاء الجهلاء الذين هم مولويون بالاسم فقط، وقد جعلوا مواعظهم وكتبهم وسيلة لكسب المعاش، وكلما جاء مثل هذا المولوي للوعظ فليسألوه بلطف هل أنت مولوي في الحقيقة أم سميت نفسك مولويا لغرض نفساني.

هل كتبتَ أي رد على "نور الحق" أو كتبت أي رد على "كرامات الصادقين" أو أصدرت أي كتاب مقابل "سر الخلافة"؟ وتذكروا يقينا أن هؤلاء الناس ليسوا مولويين. على المسلمين أن يحتفظوا عندهم بـــ"نور الحق" وغيره من الكتب، وأن يظلوا يطالبون القساوسة والمولويين دائمًا بالرد عليها وأن يُنقذوا الإسلام من فتنتهم بفضْحهم. وتأملوا جيدا أن هؤلاء سموا أنفسهم مولويين ومع ذلك كفّروا مئات المسلمين وخلقوا فتنة شديدة في الإسلام.

والسلام على من اتبع الهدى.

الراقم: غلام أحمد عفا الله عنه[1]

******

[1] تنتهي هنا ترجمة النص الأردي الموجود في هذا الكتاب. (الناشر)

الشيخ عبد الحُسين الناكفوري

سأل عني بعض الناس في أمر الشيخ عبد الحسين ناكفوري، وقالوا إنه يدّعي أنه نائب المهدي الموعود، وأنه من الله رب العالمين. فاعلموا أنّي ما توجهتُ إلى هذا الأمر، وما أرى أن أتوجه إليه، ويجرّد الله كلَّ حقيقة من أستارها، وكلّ شجرة تُعرَف من ثمارها، فستعرفون كل شجرٍ من ثمره إلى حين. والذي اتّبعَنا في مشربنا فهو منّا، والذي لم يتّبع فهو ليس منّا، وسيحكم الله بيننا وبينهم وهو أحكم الحاكمين. إن الذين يبسطون يديهم إلى عرض الصحابة ويحسبون صَحْبَ رسول الله ﷺ من الكفرة الفجرة، أولئك ليسوا منا ولسنا منهم، فرّقوا دين الله وكانوا كالمفسدين. أولئك الذين ما عرفوا رسول الله حق المعرفة، وما قدروا حق قدرِ خيرِ البريّة، فقالوا إن صحبه أكثرهم كانوا فاسقين كافرين. ما اتقوا الفواحش، وخانوا كل خيانةٍ، ما ظهر منها وما بطن، وكانوا منافقين. فصرف الله قلوبهم عن الحق، يتكبّرون في الأرض بغير الحق، يقولون نحن نحبّ آل رسول الله وما كانوا مُحبّين.

يريدون أن يُرضوا قومهم بالسب والشتم، والله أحقُّ أن يُرضوه إن كانوا مؤمنين. ألا إنهم على الباطل، ألا إنهم من المفسدين. وغشِيهم من التعصب ما غشيهم فانثنوا كالعَمين. فلن يكون منهم وليُّ الرحمن أبدًا، ولهم عذاب أليم في الآخرة، وهم من المحرومين. إلا الذين تابوا وأصلحوا وطهّروا قلوبهم وزكّوا نفوسهم، وجاءوا رب العرش

مخلصين، فلن يضيع الله أجرهم ولن يُلحقهم بالمخذولين. وتجدون أنوار عشق الله في جباههم، وآثار رحمة الله في وجوههم، وتجدونهم من المحبين الصادقين. كُتب في قلوبهم الإيمان، وحِيلَ بينهم وبين شهواتهم، فلا يتبعون النفس إلا الحق، وخرّوا على حضرة الله متضرعين. وبنوا لمحبوبهم بنيانا في قلوبهم، وبرزوا له متبتلين. يتبعون أحسنَ ما أُنزلَ إليهم من ربّهم، ويتقون حق التقاة، فتراهم كالميّتين. يجتنبون سبَّ الناس وغيبتهم، ويتّقون الفواحش مُستغفرين. ويتبعون الرسول حق الاتباع فتراهم فيه كالفانين. وكذلك تعرف الفاسقين بسيماهم وشِركهم ونَتَنِ كذبهم، وما للأُسود والثعالب يا معشر السائلين؟

ثم اعلموا أن معرفة الأولياء موقوفة على عين الاتقاء، فلا تجترئوا ولا تعجلوا على أحد، فتنقلبوا مجرمين. وسارِعوا إلى حسن الظن ما اسطعتم، وأحسنوا والله يحب المحسنين. ولا يجرِمَنّكم شقاق أحد أن تعادوا قومًا صالحين. إن الله يمنّ على من يشاء من عباده، ولا يُسأل عما يفعل، فلا تنكروا كالمجترئين. ولا تستخفّوا سبَّ أولياء الله، إنهم قوم يغضب الله لهم، ويصول على معاديهم، وإنهم من المنصورين. ولا تجاوروهم إلا بالتي هي أحسن، ولا تجترئوا ولا تعتدوا إن كنتم متقين. ومن عادى صادقا فقد مسّتْه نفحة من العذاب، فيا حسرة على المستعجلين! وإن كان أحد منكم يُعادي الصادق فأَعِظُه أن يعود لمثله أبدًا إن كان من المتورّعين.

ومن جاءه الحق فلم يقبله وزاورَ ذاتَ الشمال فسيبكي أسفا، وما كان الله مُهلِكَ قوم حتى يُتمّ حجته عليهم، فإذا أبوا فيأخذهم مليكٌ مقتدر، فاتقوه يا معشر الغافلين.

المكتُوب إلى عُلمَاء الهند

فمنهم المولوي عبد الجبار الغزنوي، والمولوي عبد الرحمن اللكوكوي، والمولوي غلام دستكير القصوري، والمولوي مشتاق أحمد اللودهيانوي، والمولوي محمد إسحاق البتيالوي، والقاضي سليمان، والمولوي رشيد أحمد الكنكوئي، والمولوي محمد بشير البوفالوي، والمولوي عبد الحق الدهلوي، والمولوي نذير حسين الدهلوي، والشيخ حسين عرب البوفالوي، والحافظ عبد المنان الوزيرابادي، والمولوي شاه دين اللودهانوي، والمولوي عبد المجيد الدهلوي، والمولوي عبد العزيز اللوديانوي، والمولوي عبد الله تلوندي، والمولوي نذير حسين الأنبيتوي السهارنفوري.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي يُطلع القمر بعد دُجى المحاق، ويُغيث بعد المحل بالبُعاق، ويرسل الرياح بعد الاحتباس، ويهدي عباده بعد وساوس الخنّاس، ويُظهر نوره عند إحاطة الظلمات، وينــزل رُشدًا عند طوفان الجهلات؛ والصلاة والسلام على سيد الرسل وخير الكائنات، وأصحابِه الذين طهّروا الأرض من أنواع الهنات والبدعات، وآلِه الذين تركوا بأعمالهم أسوة حسنة للطيبين والطيبات، وعلى جميع عباد الله الصالحين.

أمّا بعد.. فيا عباد الله، إنكم أنتم تعلمون أن ريح نفحات الإسلام كيف ركدت، ومصابيحه كيف خبَتْ، والفتن كيف

عمّت وكثُرت، وأنواع البدع كيف ظهرت وشاعت، وقد مضى رأس المائة الذي كنتم ترقبونه، ففكِّروا لِمَ ما ظهر مجدد كنتم تنتظرونه؟ أظننتم أن الله أخلفَ وعده أو كنتم قومًا غافلين؟

فاعلموا أن الله قد أرسلني لإصلاح هذا الزمان، وأعطاني علم كتابه القرآن، وجعلني مجددًا لأحكم بينكم فيما كنتم فيه مختلفين. فلِمَ لا تطيعون حَكَمَكُم ولِمَ تصولون منكرين؟ وما كنتُ من الكافرين ولا من المرتدين، ولكن ما فهمتم سرَّ الله، وحار فهمكم، وفرط وهمكم، وكفّرتموني، وما بلغتم معشار ما قلتُ لكم، وكنتم قومًا مستعجلين. ووالله إني لا أدّعي النبوة ولا أجاوز الملة، ولا أغترف إلا من فضالة خاتم النبيين. وأؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأصلي وأستقبل القبلة، فلِم تكفّرونني؟ ألا تخافون الله رب العالمين؟

أيها الناس لا تعجلوا عليّ، ويعلم ربّي أني مسلم، فلا تُكفّروا المسلمين. وتدبَّروا صحف الله، وفكِّروا في كتاب مبين. وما خلقكم الله لتكفّروا الناس بغير علم، وتتركوا طرق رفق وحلم وحسن ظن، وتلعنوا المؤمنين. لِمَ تخالفون قول الله وأنتم تعلمون؟ أخُلقتم لتكفير المؤمنين أو شققتم صدورنا، ورأيتم نفاقنا وكُفرنا وزورنا؟ فأيها الناس، توبوا توبوا وتندموا، ولا تغلُوا في ظنكم ولا تُصرّوا، واتقوا الله ولا تجترئوا ولا تيأسوا من روح الله، وإنه لا يُضيع أمة خير المرسلين. خلَق الناس ليعبدوا، وأرسل الرسل ليعرفوا، وليحكُم فيما اختلفوا، وبيّن الأحكام ليطيعوا ويُوجَروا، وبعث المجددين ليُذكّر

الناس ما ذهلوا، ودقّق معارفهم ليُبتلوا، وليعلَم الله قومًا أطاعوا وقومًا أعرضوا، وشرع البيعة لأهل الطريقة ليتوارثوا في البركات ويتضاعفوا، وأوجب عليهم حسن الظن ليجتنبوا طرق الهلاك ويُعصَموا، وفتح أبواب التوبة ليُرحَموا ويُغفَروا، والله أوسع فضلا ورحما وهو أرحم الراحمين. وما كان لي أن أفتري على الله، والله يُهلك قوما ظالمين.

وإني سُمّيتُ عيسى ابن مريم بأحكام الإلهام، فما كان لي أن أستقيل من هذا المقام بعدما أقامني عليه أمر الله العلام، وما أراه مخالفا لنصوص كتاب الله ولا آثار خير المرسلين. بل زلّتْ قدمكم، وما خشيتم ندمكم، وما رجعتم إلى القرآن، وما أمعنتم في الآثار حق الإمعان، وتركتم طرق الرشد والسدد، وملتم إلى التعصب واللدد، وغشِيتكم هوى النفس الأمّارة، فما فهمتم معاني العبارة، ووقفتم موقف المتعصبين. يا حسرة عليكم! إنكم تنتصبون لإزراء الناس، ولا ترون عيوب أنفسكم من خدع الخناس، وتمايلتم على الدنيا وأعراضها غافلين. ووالله إن جمع الدنيا والدين أمرٌ لم يحصل قط للطالبين، وإنه أشد وأصعب من نكاح حُرّتَين ومعاشرة ضرّتَين، لو كنتم متدبرين.

اعلموا أن لباس التقوى لا ينفع أحدًا من غير حقيقة يعلمها المولى، وما كلُّ سوداءَ تمرةً ولا كلّ صهباءَ خمرةً، وكم مِن مزوّر يعتلق برب العباد، اعتلاق الحرباء بالأعواد، لا يكون له حظ من ثمرها، ولا علم من حلاوتها! وكذلك جعل الله قلوب المنافقين؛

يصلّون ولا يعلمون ما الصلاة، ويتصدقون وما يعلمون ما الصدقات، ويصومون وما يعلمون ما الصيام، ويحجّون وما يعلمون ما الإحرام، ويتشهدون وما يعلمون ما التوحيد، ويسترجعون ولا يعرفون مَن المالك الوحيد، إنْ هم إلا كالأنعام بل من أسفل السافلين.

وأما عباد الله الصادقون، وعشّاقه المخلصون، فهم يصلِون إلى لُبّ الحقائق، ودُهن الدقائق، ويغرس الله في قلوبهم شجرة عظمته ودوحة جلاله وعزّته، فيعيشون بمحبته ويموتون لمحبته، وإذا جاء وقت الحشر فيقومون من القبور في محبته. قوم فانون، ولله موجَعون، وإلى الله متبتّلون، وبتحريكه يتحركون، وبإنطاقه ينطقون، وبتبصيره يبصرون، وبإيمائه يُعادون أو يُوالون. الإيمان إيماهم، والعدم مكاهم، سُتِروا في ملاحف غيرة الله فلا يعرفهم أحد من المحجوبين. يُعرفون بالآيات وخرقِ العادات والتأييدات مِن ربّ يتولاهم، وأنعمَ عليهم بأنواع الإنعامات. يدركهم عند كل مصيبة، وينصرهم في كل معركة بنصر مبين. إنهم تلاميذ الرحمن، واللهُ كان لهم كالقوابل للصبيان، فيكون كل حركتهم مِن يد القدرة، ومِن مُحرِّكٍ غاب من أعين البريّة، ويكون كل فعلهم خارقا للعادة، ويفوقون الناس في جميع أنواع السعادة؛ فصبرهم كرامة، وصدقهم كرامة، ووفاؤهم كرامة، ورضاؤهم كرامة، وحلمهم كرامة، وعلمهم كرامة، وحياؤهم كرامة، ودعاؤهم كرامة، وكلماتهم كرامة، وعباداتهم كرامة، وثباتهم كرامة؛ وينــزلون من الله بمنــزلة لا يعلمها الخلق.

وإنهم قوم لا يشقى جليسهم، ولا يُرَدُّ أنيسهم، وتجد ريّا المحبوب في مجالسهم، ونسيم البركات في محافلهم، إن كنتَ لست أخشَمَ ومن المحرومين. وينـــزل بركات على جدرانهم وأبوابهم وأحبابهم، فتراها إن كنتَ لستَ من قوم عمين.

أيها الناس.. قد تقطعت معاذيركم، وتبينت دقاريركم، وأقبلتم عليّ إقبالَ سفّاكٍ، ولكن حفظني ربّي من هلاك، فأصبحتُ مظفرًا ومن الغالبين. أيها النّاس.. قد اعتديتم اعتداءً كبيرًا فاخشوا عليمًا خبيرًا، ولا تجعلوا أنفسكم بنَخِّها وجَخِّها كعِظام استخرجت مخَّها، ولا تعثوا في الأرض معتدين. وإنّي امرؤٌ ما أبالي رفعة هذه الدنيا وخفضها، ورفعها وخفضها، بل أحِنّ إلى الفقر والمتربة، حنينَ الشحيح إلى الذهب والفضة، وأتوق إلى التذلل توقانَ السقيم إلى الدواء، وذي الخصاصة إلى أهل الثراء، وأتوكل على الله أحسن الخالقين. وما أخاف حصائد ألسنة، وغوائل كلِمٍ مزخرفةٍ، ويتولاني ربي ويعصمني من كل شرّ ومن فتن المعاندين.

أيها الناس، لا تتبعوا مَن عادى، وقوموا فرادى فرادى، ثم فكروا إن كنتُ على حق، وأنتم لعنتموني وكذّبتموني وكفّرتموني وآذيتموني، فكيف كانت عاقبة الظالمين؟ وما اقتبلتُ أمر الخلافة إلا بحُكم الله ذي الرأفة، وإني بيدَي ربي الدابل، كصبيٍّ في أيدي القوابل، وقد كنت محزونا من فتن الزمان، وغلبة النصارى وأنواع الافتنان، فلما رأى الله استطارةَ فَرَقي واستشاطةَ قلقي، ورأى أن قلبي ضجر، ونهر الدموع انفجر، وطارت النفس شعاعًا، وأُرعدت

الفرائص ارتياعا، فنظر إليّ تحننًا وتلطفًا، وتخيَّرني ترحما وتفضلا، وقال: "إِنِّي جَاعِلُكَ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً"، وقال: "أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَخْلِفَ فَخَلَقْتُ آدَمَ"، فهذا كله من ربي، فلا تحاربوا الله إن كنتم متقين. يفعل ما يريد، أأنتم تعجبون؟ وإني قبلتُ أني أذَلُّ الناس وأني أجهَل الناس كما هو في قلوبكم، ولكن كيف أردّ فضل أرحم الراحمين؟ وما تكلمتُ قبلا في هذا الباب، بل عندي شهادة من الآثار والكتاب، فهل أنتم تقبلون؟ أما ترون كيف بيّن الله وفاة المسيح، وصدّقه خيرُ الرسل بالتصريح، ورَدِفَهما تفسيرُ ابن عباس كما تعلمون؟ أيها الناس، ثم أنتم تنكرون وتتركون قول الله ورسوله ولا تخافون، وتُكبّون على لفظ النــزول وتعلمون معناه من زُبر الأوّلين. وما قصّ الله عليكم قصّةً إلا وله مثالٌ ذُكر في صحف السابقين. فكيف الضلال وقد خلت لكم الأمثال؟ أتذرون سبل الحق متعمدين؟ وقال الله: ورزقكم في السماء، وأخبركم عن نزول الحديد واللباس والأنعام وكل ما هو تحتاجون إليه، وتعلمون أن هذه الأشياء لا تنـــزل من السماء بل يحدث في الأرضين. فما كان إلا إشارة إلى نزول الأسباب المؤثرة من الحرارة والضوء والمطر والأهوية، فما لكم لا تتفكرون وتستعجلون؟ تعلمون ظاهر الأشياء وتنسون حقائقها وتمرون على آيات الله غافلين. وإن كنتم في شك من قولي فانتظروا مآل أمري وإني معكم من المنتظرين. وكم من علوم أخفاها الله ابتلاءً من عنده، فاعلموا أن السر مكنون، وما في يديكم إلا ظنون، فلا تكفروني لظنونكم يا معشر المنكرين. انتهُوا

خيرًا لكم، وإني طبتُ نفسا عن كل ما تفعلون من الإيذاء والتحقير والتكذيب والتكفير، وما أشكو إلا إلى الله، بل لما بصرتُ بانقباضكم وتجلّى لي إعراضُكم، علمتُ أنه ابتلاء من ربي، فله العُتبى حتى يرضى، وهو أرحم الراحمين. فذكرتُ ربًا جليلاً، وصبرتُ صبرًا جميلاً، ولكنكم ما اهتديتم، وظلمتم واعتديتم، قال الله ﴿لا تَنَابَزُوا﴾، فنبَزْتم، وقال ﴿لا يَسْخَرْ قومٌ مِن قوم﴾، فسخرتم، وقال ﴿يا عيسى إني مُتَوَفِّيكَ﴾، فأنكرتم، وقال ﴿اجْتَنِبُوا كثيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾، فظننتم وكفّرتموني ولعنتم، وقال ﴿لا تَجَسَّسُوا﴾، فتجسّستم، ثم صعّرتم وعبستم، وقال ﴿لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، وقال ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، فاغتبتم وكفّرتم، وما أراكم إلى هذا الحين منتهين. أنسيتم أَخْذَ الله وضغطةَ القبر، أو لكم براءة في الزبر، أو أُذِنَ لكم من الله رب العالمين؟

فكروا ثم فكروا، أتفتي قلوبُكم أن الله الذي يعينكم عند كل تردُّد هو أقوَى مثلَ هذا الزمان عن مجدد؟ وقد كنتم تستفتحون من قبل، فلما جاء نصر الله صرتم أول المعرضين. ولوَيتم عني عِذاركم، وأبديتم ازوراركم، وصرفتم عني المودة، وبدلتم بالبغض المحبة، وذاب حسن ظنكم واضمحلّ، ورحل حبكم وانسلّ، وصرتم أكبر المعادين. فلما رأيتُ أعراض التزوير وانتهاء الأمر إلى التكفير، علمتُ أن مخاطبتي بهذه الإخوان مجلبة للهوان، فوجهتُ وجهي إلى أعزّة العرب والمتفقهين. وإني أرى أنهم يقبلونني ويأتونني ويعظّمونني،

فسرَّني مرأى هذه الوجوه المباركة، ودعاني التفاؤل بتلك الأقدام المبشرة إلى أن عمدت لتنميق بعض الرسائل في عربي مبين. فهمَمْتُ لنفع تلك الإخوان بأن أكتب لهم بعض أسرار العرفان، فألفتُ "التحفة" و"الحمامة"، و"نور الحق" و"الكرامة"، ورسالة "إتمام الحجة" وهذه "سِرّ الخلافة"، وفيها منافع للذين وردتُ منهم مورد الكافرين. وأرجو أن يغفر ربي لكل من يأتيني كالمقترفين المعترفين.

ألا تنظرون وما بقي مِن حُلل الدين إلا أطمارًا مخرَّقة، وما مِن قصره إلا أطلالا محرَّقة، وكُنا مُضغة للماضغين. أتعجبون مِن أن الله أدرككَم بفضله ومنّته، وما أضاحَكم عن ظل رحمته؟ أكانت لهذا الزمان حاجة إلى دجال، وما كانوا محتاجين إلى نصرة رب فعال؟ ما لكم كيف تخوضون؟ أين ذهبت قوة غور العقل وفهم النقل، وأين رحلت فراستكم، وأي آفة نزلت على بصيرتكم، أنكم لا تعرفون وجوه الصادقين والكاذبين؟ وقد لبثتُ فيكم عُمُرًا من قبله أفلا تعقلون؟ وإن رجلا يبذل قواه وكل ما رزقه الله وآتاه، لإعانة مذهب يرضاه، حتى يُحسب أنه أهله وذراه، وقد رأيتم مواساتي للإسلام، وبَذْلَ جهدي لملة خير الأنام، ثم لا تبصرون. وعرضتُ عليكم كل آية قُبُلاً، ثم لا تنظرون. وإني جئتكم لأُنجيكم من مكرٍ مُرمِض وروعٍ مُومِض، ثم أنتم لا تفكرون. وعزوتم إليّ ادعاءَ النبوة، وما خشيتم الله عند هذه الفرية، وما كنتم خائفين. ولا تفهمون مقالي، وتحسبون أُجاجًا زلالي، ولا تعقلون. وكيف يفهم الأسرار الإلهية مَن سدل ثوب الخيلاء، وعدل عن الحق بجذبات الشحناء،

ورضي بالجهلات، ومال إلى الخزعبلات، وأعرض عن الصراط كالعمين؟

وتقولون إعراضا عن مقالتي، وإظهارًا لضلالتي، إن الملائكة ينـــزلون إلى الأرض بأجسامهم ويُقْوُون أماكنَ مقامهم، ويتركون السماوات خالية، وربما تمرّ عليهم برهة من الزمان لا يرجعون إلى مكان، ولا تقرَبونه* لتمادي الوقت على وجه الأرض لإتمام مهمات نوع الإنسان، ويضيعون زمان السفر بالبطالة كما هو رأي شيخ البطالة؛ وإنه قال في هذا الباب مجملا، ولكن لزمه ذلك الفساد بداهة، فإن الذي محتاج إلى الحركة لإتمام الخطة، فلا شك أنه محتاج إلى صرف الزمان لقطع المسافة وإتمام العمل المطلوب من هذا السفر ذي الشأن، فالحاجة الأُولى توجب وجود حاجة ثانية، فهذا تصرُّفٌ في عقيدة إيمانية. ثم من المحتمل أن لا يفضُل وقت عن مقصود، ويبقى مقصود آخر كموءود؛ فانظر ما يلزم من المحذورات وذخيرةِ الخزعبلات، فكيف تخرجون من عقيدة إيمانية إلى التصرفات والتصريحات، وأنتم تعلمون أن وجود الملائكة من الإيمانيات، فنـــزولهم يشابه نزول الله في جميع الصفات. أيقبل عقلٌ إيمانيٌّ أن تخلو السماوات عند نزول الملائكة ولا تبقى فيها شيء بعد هذه الرحلة؟ كأنّ صفوفها تقوضت، وأبوابها قُفلت، وشؤونها عُطّلت، وأمورها قُلّبت، وكل سماء ألقت ما فيها وتخلّتْ. إن كان هذا هو

---

* *هذا سهو الناسخ والصحيح "يقربونه". (الناشر)*

الحق فأَخرِجوا مِن نصٍّ إن كنتم صادقين. ولن تستطيعوا أن تخرجوا ولو متم، فتوبوا واتقوا الله يا معشر المعتدين.

اعلموا أن الدراية والرواية توأَمانِ، فمَن لا يراهما بنظر واحد فيقع في هوة الخسران، ويُضيع بضاعة العرفان، ثم بعد ذلك يُضيع حقيقة الإيمان ويلحق بالخاسرين. ومن خصائص ديننا أنه يجمع العقل مع النقل، والدراية مع الرواية، ولا يتركنا كالنائمين.

فنسأل الله تعالى أن يُعطيَنا حقائق الإيمان، ويُوطننا ثرى العرفان، ويرزقَنا مَرْأَى الجِنان بأنوار الجَنان، ويُمْطِيَنا قَرَا الإذعان، لنقتريَ قِرى مرضاة رب* الرحمن، ونتخيم بالحضرة ونسلَى عن الأوطان، ونُغلِّس غاديًا إلى مرضاة المولى، ونحفِد إلى ما هو أنسب وأولى، ونخترق في مسالك العرفان، وننصلت في سِكَكِ حُبِّ الرحمن، ونأوي إلى حصون وثيقة، ومَغانٍ أنيقة من صول الشياطين، باتباع النبيّ الأمّيّ خاتم النّبيّين. اللهم فصلِّ وسلِّمْ عليه إلى يوم الدّين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* *هذا سهو الناسخ والصحيح "الرب". (الناشر)*

القصيدة للمؤلف

نفسِي الْفِـــداءُ لبدرٍ هاشمي عربي ... وَدادُه قُـــربٌ ناهيك عن قُـــرَبِ
نجّى الورى مِن كل زور ومعصيةٍ ... ومِن فسوق ومن شركٍ ومن تَبَبِ
فنوّرتْ ملّـــةٌ كانت كمعدومٍ ... ضعفًا ورجمتْ ذراري الجانّ بالشهبِ
وزحزحتْ دُخْنًا غشّى على مِللٍ ... وساقطتْ لؤلوءًا رَطْبًا على حطبِ
ونضّرتْ شَجْرَ ذكر الله في زمنٍ ... مَحْلٍ يُميت قلوبَ الناس مِن لعبِ
فلاحَ نورٌ على أرضٍ◈ مكدّرةٍ ... حقًّا ومزّقت الأشـــرار بالقُضبِ
وما بَقَى أثــرٌ مِن ظلمٍ وبدعاتٍ ... بنور مُهجـــةِ خيرِ العجم والعربِ
وكان الـــورى بصفاء نيّـــاتٍ ... مع ربِّهم العـــليْ في كلّ منقَلبِ
له صَحْبٌ كرام راقَ مِيسمُهمْ ... وجلّتْ محاسنهم في البدء والعَقِبِ
لهم قلوب كلَيثٍ غيرِ مكتـــرثٍ ... وفضـــلُهم مستبـــينٌ غيرُ محتجبِ
وقد أَتَتْ منه في تفضيلهم تترًا ... من الأحاديث ما يغني من الطلبِ
وقد أناروا كمثل الشمس إيمانا ... فَإنْ فخَرنا فما في الفخر مِن كَذِبِ
فتعسًا لقوم أنكروا شأن رُتبِهمِ ... ولا يرجعون إلى صحفٍ ولا كتبِ
ولا خروجَ لهم من قبرِ جهلاتٍ ... ولا خلاصَ لهم مِن أمنَعِ الحجبِ
واليوم تسخَر بالأحباب من قومٍ ... وتبكِـــيَنْ يومَ جدَّ البينُ بالكُربِ
ومن يؤثِرَنْ ذنبًا ولم يخشَ ربّه ... فلا المـــرءُ بل ثـــورٌ بلا ذَنَـــبِ

◈ *لقد كتب حضرته عليه السلام تحت هذه الكلمة: أي على قلوب. (الناشر)*

انظُـــرْ معارفنا وانظُـــرْ دقائقنا   فعافِ كـــرَمًا إن أخللتُ بالأدبِ
وأعـــانني ربي لتجـــديد ملّـــتهِ   وإن لم يُعِنْ فمَن ينجو مِن العطبِ
وقلتُ مرتجلا ما قلتُ من نظمٍ   وقلمي مستهـــلّ القَطر كالسُحبِ
وكفى لنا خالقٌ ذو المجد منَّـــانٌ   فما لنا في رياض الخـــلق مِن أَرَبِ
وقد جمع هذا النظم مِن مُلحٍ ومن نُخبٍ   بيُـــمنِ سيدِنا ونجـــومِه النُـــجبِ
وإني بأرض قد علَتْ نارُ فتنتها   والفتن تجري عليها جَرْيَ مُنسرِبِ
ومن جفاني فلا يرتاع تَبعـــتَهُ   بما جفا بل يراه أفضـــلَ القُـــرُبِ
فأصبحتْ مُقْلتي عينينِ ماؤُهما   يجري من الحزن والألم والشَجَبِ
أُرجِلتُ ظلمًا وأرضُ حِبِّي بعيدةٌ   فيا ليتني كنت فوق الرحل والقَتَبِ

❁❁❁❁❁